Journal of Scientific Research in Arts
ISSN 2356-8321 (Print)
ISSN 2356-833X (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/?lang=en

Means of Persuasion in the book "The Future of Culture in Egypt" by Dr. Taha Hussein Logical linguistic study

*Faten M. Moham*med Ali
Faculty of Alsun, Ain sahms University, Egypt.
Faten_Ali@alsun.asu.edu.eg

Received:12-2-2024 Revised:29-2-2024
Accepted:23-6-2024 Published: 10-7-2024

DOI: 10.21608/JSSA.2024.269679.1613
Volume 25 Issue 5 (2024) Pp. 17-45

Abstract

The research deals with the logical linguistic means of persuasion that Taha Hussein used in his book "The Future of Culture in Egypt." The research focused its attention on some of the issues that he addressed in his book and that were the subject of controversy and conflicting opinions. The book addresses issues related to education in particular - and culture in general. Because of its great impact in forming an advanced generation that works according to modern European strategies. I chose the book "The Future of Culture in Egypt" because it is a controversial book that raises many controversial issues at that time, and these are topics that are still a subject of interest and controversy to this day. This book is an important reference in education, and an essential source for reforming the education system and advancing the educational process as a whole and general culture in particular. The book consists of two parts: The first deals with the subject of Egypt's history and civilization, defending the fact that Egypt is closer to the West than the East, and then begins talking about educational reform. Starting from primary education, through basic education and then secondary education. Then, in the second part, he moved on to talk about the situation of teachers, the importance of textbooks, and the necessity of teaching a foreign language to students, especially the Greek language. The research aims to explain the means of persuasion that Taha Hussein used to convince the reader of his opinion, or to refute and respond to the other opinion. Therefore, the research relied in its methodology on argumentative theory. The study is divided into an introduction that deals with the book and the criticisms directed at it by thinkers and researchers, then a theoretical introduction that presents the definition of al-Hajjaj and the means and techniques that the research used, followed by an applied introduction that deals with some models of al-Hajjaj from the issues discussed by Taha Hussein in his book, and finally a conclusion with the most important Results and a list of the most important references and sources.

Keywords Means of persuasion - Al-Hajjaj - Language - Taha Hussein

وسائل الإقناع في كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" للدكتور طه حسين
دراسة لغوية منطقية
دراسة لغوية في سيميائية المسرح بين النص والعرض

فاتن محمد محمد علي
قسم اللغة العربية، كلية الألسن
جامعة عين شمس، جمهورية مصر العربية.
Faten_Ali@alsun.asu.edu.eg

المستخلص:
يتناول البحث وسائل الإقناع اللغوية المنطقية التي استعان بها طه حسين في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر"، وقد ركز البحث اهتمامه على بعض القضايا التي تعرض لها في كتابه وكانت مثار جدل وآراء متعارضة. الكتاب يتناول قضايا متعلقة بالتعليم بوجه خاص -والثقافة بشكل عام؛ لِما لها من أثر كبير في تكوين جيل متطور يعمل وفق الإستراتيجيات الأوروبية الحديثة. وقد وقع اختياري على كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" لأنه كتاب جدلي يطرح العديد من القضايا المختلف عليها في ذلك الوقت، كما أنها موضوعات لا تزال موضع اهتمام وجدل حتى وقتنا الحالي. هذا الكتاب يعد مرجعًا مهمًا في التربية، ومصدرًا أساسيًا لإصلاح نظام التعليم، والنهوض بالعملية التعليمية ككل والثقافة العامة بشكل خاص. يتكون الكتاب من جزأين؛ الأول يتناول موضوع تاريخ مصر وحضارتها، مدافعًا عن كون مصر أقرب للغرب من الشرق، ثم يبدأ بعد ذلك الحديث عن إصلاح التعليم؛ بدءًا من التعليم الأولي، ومرورًا بالتعليم الأساسي ثم الثانوي. ثم انتقل في الجزء الثاني إلى الحديث عن حال المعلمين، وأهمية الكتب المدرسية، وضرورة تدريس لغة أجنبية للطلاب بخاصة اللغة اليونانية. يهدف البحث إلى بيان وسائل الإقناع التي استخدمها طه حسين لإقناع القارئ برأيه، أو لدحض الرأي الآخر والرد عليه؛ ولذلك اعتمد البحث في منهجه على النظرية الحجاجية. تنقسم الدراسة إلى مقدمة تتناول الحديث عن الكتاب، وعن الانتقادات التي وجهت له من المفكرين والباحثين، ثم مدخل نظري يعرض تعريف الحجاج ووسائله وتقنياته التي استعان بها البحث، يليه مدخل تطبيقي يتناول بعض النماذج الحجاجية من القضايا التي ناقشها طه حسين في كتابه، وأخيرًا خاتمة بأهم النتائج وقائمة بأهم المراجع والمصادر.

الكلمات المفتاحية: وسائل الإقناع – الحجاج – اللغة – طه حسين

❖ مقدمة:

يتناول البحث وسائل الإقناع اللغوية والمنطقية التي استعان بها طه حسين في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر"[1]، وقد ركز البحث اهتمامه على بعض القضايا التي تعرض لها في كتابه وكانت مثار جدل وآراء متعارضة. الكتاب يتناول قضايا متعلقة بالتعليم بوجه خاص -والثقافة بشكل عام؛ لِما لها من أثر كبير في تكوين جيل متطور يعمل وفق الإستراتيجيات الأوروبية الحديثة. وقد وقع اختياري على كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" لأنه كتاب جدلي يطرح العديد من القضايا المختلف عليها في ذلك الوقت، كما أنها موضوعات لا تزال موضع اهتمام وجدل حتى وقتنا الحالي.

ذكر طه حسين في مقدمة كتابه سبب كتابته لهذا الكتاب قائلًا: "أغراني بإملاء هذا الكتاب أمران: أحدهما ما كان من إمضاء المعاهدة بيننا وبين الإنجليز في الندوة، ومن إمضاء الاتفاق بيننا وبين أوروبا في منترو، ومن فوز مصر بجزء عظيم من أملها في تحقيق استقلالها الخارجي وسيادتها الداخلية. وقد شعرت كما شعر

(1) نشر طه حسين (1889 – 1973) كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" في القاهرة عام 1938.

غيري من المصريين، وكما شعر الشباب من المصريين خاصة بأن مصر تبدأ عهدًا جديدًا من حياتها كسبت فيه بعض الحقوق، فإن عليها أن تنهض فيه بواجبات خطيرة وتبعات ثقال. وما كان أشد تأثري بهذه الحركة اليسيرة الساذجة التي دفعت فريقًا من الشباب الجامعيين في العام الماضي إلى أن يسألوا المفكرين وقادة الرأي عما يرون في واجب مصر بعد إمضاء المعاهدة مع الإنجليز".[1]

يهدف البحث إلى بيان وسائل الإقناع التي استخدمها طه حسين لإقناع القارئ برأيه، أو لدحض الرأي الآخر والرد عليه؛ ولذلك اعتمد البحث في منهجه على النظرية الحجاجية.

هذا الكتاب يعد مرجعًا مهمًا في التربية، ومصدرًا أساسيًا لإصلاح نظام التعليم، والنهوض بالعملية التعليمية ككل والثقافة العامة بشكل خاص. يتكون الكتاب من جزأين؛ الأول يتناول موضوع تاريخ مصر وحضارتها، مدافعًا عن كون مصر أقرب للغرب من الشرق، ثم يبدأ بعد ذلك الحديث عن إصلاح التعليم؛ بدءًا من التعليم الأولي، ومرورًا بالتعليم الأساسي ثم الثانوي. ثم انتقل في الجزء الثاني إلى الحديث عن حال المعلمين، وأهمية الكتب المدرسية، وضرورة تدريس لغة أجنبية للطلاب بخاصة اللغة اليونانية.

تحدثت كورنيليا فون راد عن الظروف السياسية التي أحاطت بهذا النص مشيرةً إلى أنها فترة بناء الذات المصرية؛ حيث تصارعت فيها قوى المحافظة مع تيار التطور والتقدم. وخطاب وزير التعليم طه حسين يأتي في تلك الفترة التاريخية مدافعًا عن أنموذج جديد للتعليم ينقض به تعليم الأزهر، وهو نموذج التعليم العصري الذي يساوي -في اعتقاد طه حسين-التعليم الأوروبي.[2]

ويعرض أنور الجندي –من وجهة نظره– الظروف السياسية التي دفعت طه حسين لتأليف هذا الكتاب قائلًا: "إن هذا الكتاب صدر عقب توقيع معاهدة 1936؛ حيث إن الاستعمار يركز جهوده في حركة "التغريب" وخاصة الغزو الثقافي الفرنسي، الذي أراد أن يعوض ما فقده من الأرض بإلغاء الامتيازات الأجنبية وسيطرتها على الإرساليات التعليمية. ويحاول أن يفرض على مناهج العربية والتعليم أهدافًا من شأنها القضاء على كل معالم الشخصية الإسلامية، وذلك بالقضاء على:

1. أنظمة التعليم في الأزهر.
2. اعتبارات مصر العربية.
3. مقومات الكيان العربي.
4. أثر الدين والإسلام بالذات في ثقافتنا وتفكيرنا.

وفي هذه اللحظات الحاسمة أهدى طه حسين وشاحًا كبيرًا من جامعة لون التي تعلم فيها، وعاد وهو يحمل معه أصول هذا الكتاب". [3]

تعرض طه حسين بعد تأليف كتاب "مستقبل الثقافة في مصر" إلى كثير من الانتقادات من معارضيه وناقديه؛ لأنهم كانوا يرون أنه يقضي على الهوية العربية والإسلامية بما ذكره في كتابه، وقد نشر طه حسين بعضًا من هذه الآراء في مقالات في مجلة الهلال عام 1925، وفي كتابه "قادة الفكر" عام 1926، وقام كثير من الباحثين بالرد عليه، مثل رشيد رضا في "المنار" عام 1926، ورد عليه زكي مبارك في جريدة "البلاغ" عام 1932؛ لذلك نجده يركز جهوده في الدفاع عن رأيه ويقدم مختلف أنواع الحجج للرد عليهم.

(1) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ج1، ص5.
(2) كورنيليا فون راد – صكوحي: الحجاج في المقام المدرسي، كلية الآداب بمنوبة، 2003، ص105. بتصرف.
(3) أنور الجندي: المعارك الأدبية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، 1983، ص160.

عرض أنور الجندي في كتابه "المعارك الأدبية" بعضًا من وجهات نظر هؤلاء المعارضين لآراء طه حسين، منهم ساطع الحصري [1] الذي يرى أن طه حسين يغالي في تشبيه المصريين بالأوروبيين، وينكر وجود الفروق بينهم. ولا يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل يتعداه إلى أمور أغرب؛ إذ إننا نراه يدعي عدم وجود فروق بينهم من حيث الطبع والمزاج أيضًا، فإن الفرق بين الطبع والمزاج من الأمور التي تُشاهد على الدوام في الأمم الأوروبية نفسها، كما يرى أن كثيرًا من أحكامه كتبها بدافع الاستعجال والإسراف. [2]

وقد رد عليه الدكتور زكي مبارك[3] قائلًا: "قلتَ إن عقلية مصر عقلية يونانية، وصرحتَ بأن الإسلام لم يغير تلك العقلية؛ في حين أن مصر ظلت ثلاثة عشر قرنًا وهي مؤمنة بالعقيدة الإسلامية، والأمة التي تقضي ثلاثة عشر قرنًا في ظل دين واحد لا تستطيع أن تفر من سيطرة ذلك الدين، إن الإسلام رج الشرق رجة أقوى وأعنف من الرجة التي أثارتها الفلسفة اليونانية... أنا لا أنكر قيمة التراث الذي خلفه اليونان القدماء، ولكن أرتاب في أنه وصل إلى لفاف العقلية المصرية". [4]

ومن الباحثين الذين ذكرهم أنور الجندي الدكتور محمد كامل حسين [5]؛ حيث يرى أن دعوة طه حسين ألا تقتصر الدراسات الأدبية في مدارسنا على الأدب العربي، بل يجب أن ندرس الآداب الأجنبية، على أن يكون تدريسها باللغة العربية.. هي دعوة تبدو ظاهريًا بأنها تلبس ثوب الوطنية والتعصب للغة القومية، ولكنها حقيقةً تتفق مع مذهبه في الكتاب كله الذي يدعو إلى نشر آداب الغرب وثقافته على أوسع نطاق، وذلك هو ما تفعله الدول الاستعمارية الآن. [6]

وأخيرًا يأتي سيد قطب الذي ألف كتابًا ينقد فيه كتاب "مستقبل الثقافة في مصر"، خالفه في بعض الآراء ووافقه في البعض الآخر.

تحدث في البداية عن الكتاب قائلًا: "لم يرسم هذا الكتاب الضخم سياسة التعليم فحسب، أو سياسة الثقافة المدرسية فحسب ولكنه تجاوزها إلى ما بعد مراحل التعليم كلها، إلى ثقافة المجتمع وعواملها، إلى المسرح والخيالة والمذياع والصحافة، وتجاوزها إلى الأدب والأدباء والجو الأدبي، وإلى واجب الدولة والهيئات للبحث العلمي والنشاط الفكري، وإلى كل ما يتصل بكلمة "ثقافة" بأوسع معانيها، وفي أوسع حدودها، ملائمًا بين كل مرحلة والتي قبلها والتي تليها، مما يجعل هذا المؤلف دستورًا جامعًا للثقافة في مصر كما يريدها مؤلفه". [7]

ومن الآراء التي خالف فيها طه حسين، أن أوروبا عقلٌ واحد، وللشرق الأقصى أو الأدنى عقلٌ واحد كذلك، فكان رده أن لكل أمة عقلًا خاصًا يتطلب ثقافةٍ خاصة، وإن هذه العقول قد تتقارب وتتباعد ولكنها لا تتحد أبدًا. كما رد على تأثر الإسلام بالفلسفة اليونانية، بأنّ المؤثر الأول في الأديان هو نظامها الروحي.[8]

ومن الآراء التي وافقه فيها رأي وجوب إشراف الدولة إشرافًا فعليًا على مرحلة التعليم العام، سواء كان ذلك في الأزهر أم في المدارس الأجنبية أم في المدارس الأهلية. كما وافقه على مقترحاته بالنسبة للامتحان، مثل: إلغاء امتحان النقل في مدارس التعليم العام، والاكتفاء بآراء المدرسين. [9]

([1]) نشرها في مجلة الرسالة 24 يوليه 1939.
([2]) أنور الجندي: المعارك الأدبية، ص161-162 بتصرف.
([3]) نشرها في مجلة الرسالة 23 يناير 1939.
([4]) أنور الجندي: المعارك الأدبية، ص164 – 165 بتصرف.
([5]) نشرها في مجلة الرسالة في 23 يناير 1939.
([6]) أنور الجندي: المعارك الأدبية، ص165 بتصرف.
([7]) سيد قطب: نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1969، ص6.
([8]) المرجع السابق، ص17 – 20 بتصرف.
([9]) سيد قطب: نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر ، ص36-46 بتصرف.

ومن المفكرين الذين قدموا دراسة نقدية لكتاب "مستقبل الثقافة في مصر" د. فؤاد زكريا، وكانت دراسة مقارنة لما دعا إليه طه حسين وما تحقق منها بعد خمسة عقود، فهو يرى أن حديث طه حسين عن مستقبل الثقافة في مصر حديث المتفائل، الذي ينظر إلى المستقبل بوصفه تفتحًا لإمكانات لا حدود لها، إمكانات الدولة ذات التاريخ العريق، التي عاشت تحت حكم الاحتلال زمنًا طويلًا، ثم لاحت بشائر الخلاص منه بعودة مقاليد الأمور إلى أبنائها، ثم يتساءل بعد ذلك: "ما الذي حدث خلال العقود الخمسة التي مرت منذ ذلك الحين، بحيث أصبحنا نرى في هذا الكتاب أثرًا من الماضي البعيد، ونجد فيه تفاؤلًا أقرب إلى السذاجة إذا ما قيس بالواقع المرير الذي عانيناه خلال تلك العقود الخمسة؟".[1]

ومن القضايا التي خالفه فيها قضية الشرق والغرب؛ حيث يرى أن الحجج التاريخية التي استند إليها في حقيقتها أقرب إلى المغالطات منها إلى أي شيء آخر، فطه حسين يصل بعد تقديم هذه الحجج إلى أن علاقتنا الثقافية بالشرق لم تكن لها أهمية على مر التاريخ، وإنما كان المسار الرئيس لروابطنا الثقافية يسير نحو الغرب.[2]

أما بالنسبة لدعوة طه حسين لمراقبة الدولة للمدارس الأجنبية مراقبة دقيقة تكفل محافظتها على مقدار من التعليم يلائم حقوق الوطنية وواجباتها، فيرى أن المفكر الذي ينادي بأن يدرس أبناء وطنه عناصر الثقافة القومية جميعها، بدلًا من أن يكتفوا بدراسة الثقافات العربية، لا يمكن أن يكون ناكرًا لهويته وأصالته، أو منسحقًا تحت تأثير الثقافات الدخيلة، كما يحاول خصوم طه حسين أن يوهمونا.[3]

هذا عرض مختصر لآراء الباحثين والنقاد لكتاب "مستقبل الثقافة في مصر".

❖ مدخل نظري:

اعتمد طه حسين في الكثير من القضايا التي عالجها في كتابه على إستراتيجية الإقناع التي يعرفها د. عبد الهادي الشهري قائلًا: "من الأهداف التي يرمي المرسل إلى تحقيقها من خلال خطابه إقناع المرسل إليه بما يراه، أي إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي لديه، ولتحقيق هذا الهدف إستراتيجية تداولية تُعرف بإستراتيجية الإقناع؛ إذ تكتسب اسمها من هدف الخطاب".[4]

وهذا ما يسعى إليه طه حسين، وهو إقناع المتلقي بضرورة التغيير؛ فهو يرى أن هذا التغيير يكون بالابتعاد عن النظم القديمة في التعليم، واتبع في سبيل ذلك الإستراتيجيات الحجاجية بمختلف أنواعها. وهذه الحجج والأدلة التي يعتمد عليها المرسل تثبت صحة القضية التي تعالجها الرسالة الاتصالية؛ أي إن الحجاج وسيلة من وسائل الإقناع.

يعرف بيرلمان وتيتيكاه موضوع نظرية الحجاج بقولهما: "موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يُعرَضْ عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم".[5]

([1]) فؤاد زكريا: مقال عن كتاب مستقبل الثقافة في مصر منشور في كتاب أهم مائة كتاب في مائة عام (موسوعة عصر التنوير)، دار الهلال، 1992، ج1، ص200 بتصرف.

([2]) المرجع السابق، ص201 بتصرف.

([3]) المرجع السابق، ص202 بتصرف.

([4]) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، 2004، ص444.

([5]) عبد الله صولة: الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتيكاه، من كتاب "أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم"، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس كلية الآداب بمنوبة، د.ت، د.ط، ص299.

ويضيفان تحديدًا للغاية من الحجاج فيقولان: "غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يُطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وُفِّقَ في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه). أو هو ما وُفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة".[1]

أي إنه استجابة المتلقي واقتناعه بما يحاول مناظره إقناعه به، مستخدمًا الحجج والأدلة والبراهين المنطقية التي تؤدي به إلى التسليم، مع مراعاة حال المتلقي ووضعه الاجتماعي، وغير ذلك من الأحوال التي يجب أخذها في الاعتبار عند تقديم الحجج إليه حتى نستطيع الوصول به إلى مرحلة الاقتناع.

ويعلق د. عبد الهادي الشهري على هذا التعريف قائلًا: "وبهذا فدور الحجاج يقف عند هدف تحقيق الإقناع. يختار المرسل من الحجج ما يناسب السياق، ثم يصوغها في قالب لغوي مناسب ليخاطب بها عقل المرسل إليه. وهذا تأكيد على حضور وظيفة التفاعل في اللغة، وهنا تكمن أهمية الحجاج فيما يولده من اقتناع لدى المرسل إليه الذي لا يتأتى له إلا باستعمال اللغة". [2]

وقد قسم عبد الهادي الشهري الحجاج إلى صنفين هما: الحجاج التوجيهي، والحجاج التقويمي. الأول يعتمد على إقامة الدليل على الدعوى دون الاهتمام بتلقي المخاطب لها ورد فعله عليها، أما الثاني فيراعي المرسل في خطابه الحجاجي أمرين هما: الهدف الذي يريد تحقيقه وهو الإقناع، والحجج التي يمكن أن يعارضه بها المتلقي والتي يضعها في الحسبان أثناء بناء خطابه، ويمحصّها عند استحضار حججه، فيفندَّها ويعارضها بالحجج التي يتوقعها من المتلقي.[3]

استخدم طه حسين في خطابه -كتاب "مستقبل الثقافة في مصر"-النوعين وفقًا للسياق ومقتضى الحال وطبيعة المتلقي الذي يتحدث إليه، فالمتلقي المُنْكِر يختلف إقناعه عن المتلقي الشَّاك.

❖ **الدراسة التطبيقية:**

يعتمد البحث في تحليل النصوص على الهيكل الحجاجي، وهو إرجاع النص أو وحدات النص إلى تركيبها الحجاجي، أي إلى تركيب يتكون من: استنتاج وحجة ونتيجة. ويلتزم البحث في تطبيقاته بفكرة أنه لا يمكن -في الأغلب- تقطيع النص إلى وحدات تساوي الأشكال الحجاجية؛ ففي بعض الأحيان تُحيل حُجة ما على معلومات قد جاءت في مراحل سابقة للنص، كما أن بعض الوحدات النصية تتضمن أكثر من خطة حجاجية. [4]

لذلك يقسم البحث النماذج الحجاجية إلى الشكل الذي اعتمده د. محمد العبد في بحثه المعنون بـ"النص الحجاجي العربي، دراسة في وسائل الإقناع"، وهو: مقدمات، ودعوى، وتبرير؛ حيث يرى: "أنه شكل يتسم بالمنطقية التي تعد أُسَّ الحركة الحجاجية المتنامية مترابطة العناصر. ترتبط الدعوى منطقيًا بالمقدمات. ويحرص الكاتب لجعل خطابه مقنعًا ومستميلًا على التبرير والتعليل. ويستخدم دعامات لا يخفى ثراؤها". [5]

وتُقدم النماذج مقسمة وفقًا للبنية الحجاجية للنص، وتُعرض موزعة وفقًا لترتيبها في الكتاب.

([1]) المرجع السابق، الصفحة نفسها.
([2]) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص457.
([3]) عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب ، ص470 – 473 بتصرف.
) كورنيليا فون راد – صكوحي، الحجاج في المقام المدرسي، ص16 -17 بتصرف.[4](
([5]) محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، 2005، ص206.

وتتناول الدراسة التطبيقية بعض القضايا التي عرض لها طه حسين في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر"، وقد اختارت الدراسة قضايا: مصر شرقية أم غربية، والتعليم الديني، والامتحان. وتحت كل قضية سنأخذ نصًا كاملًا من الكتاب يكشف عن حجاج طه حسين في هذه القضية، والنص مقسم إلى مقاطع، وكل مقطع منها تعرض فيه تقسيم البنية الحجاجية.

- **هدف طه حسين من هذه المقالات:**

يذكر طه حسين في بداية حديثه هدفه العام من كتابة هذه المقالات التي جمعها في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر"، وربما يمكن عدها مقدمةً وتمهيدًا للقضايا الحجاجية الجدلية التي أثارها في هذه المقالات؛ فقد استهل مقالاته بقوله: **"الموضوع الذي أريد أن أدير فيه هذا الحديث هو مستقبل الثقافة في مصر التي رُدَّت إليها الحرية بإحياء الدستور، وأُعيدت إليها الكرامة بتحقيق الاستقلال. فنحن نعيش في عصر من أخص ما يوصف به أن الحرية والاستقلال فيه ليسا غايةً تقصد إليها الشعوب وتسعى إليها الأمم، وإنما هما وسيلة إلى أغراض أرقى منهما وأبقى، وأشمل فائدة وأعم نفعًا... فليحرص كل مصري على أن يجنب نفسه وأمته هذا الخزي. وسبيل ذلك أن نأخذ أمورنا بالحزم والجد منذ اليوم، وأن نُعْرِض عن الألفاظ التي لا تغني إلى الأعمال التي تغني، وأن نبدأ في إقامة حياتنا الجديدة من العمل الصادق النافع على أساس متين".**[1]

تنوع الأسلوب هنا ما بين الخبري والإنشائي؛ فقد بدأ حديثه بجملتين خبريتين يضع بهما اللبنة الأساسية للقضايا التي سيتناولها بعد ذلك، فالجملة الأولى **"الموضوع الذي أريد أن أدير فيه هذا الحديث هو مستقبل الثقافة في مصر التي رُدَّت إليها الحرية بإحياء الدستور، وأعيدت إليها الكرامة بتحقيق الاستقلال"**، حدد فيها الموضوع الذي ينطلق منه، وكان الخبر فيها مفردًا. أما الجملة الثانية **"فنحن نعيش في عصر من أخص ما يوصف به أن الحرية والاستقلال فيه ليسا غاية تقصد إليها الشعوب وتسعى إليها الأمم، وإنما هما وسيلة إلى أغراض أرقى منهما وأبقى، وأشمل فائدة وأعم نفعًا"**، فالضمير فيها "نحن" للإشارة إلى أن ما بعدها يقع تنفيذه على عاتق الجميع، فعلى الجميع تحمل مسئولية النهوض بالوطن، واستثمار الحرية التي وصلوا إليها. ثم انتقل إلى الجملة الإنشائية الطلبية باستخدام الفعل المضارع المسبوق بلام الأمر: **"فليحرص كل مصري على أن يجنب نفسه وأمته هذا الخزي"**، ويشرحه د. مسعود صحراوي قائلًا: "أما الأمر فقد جعل له علماؤنا صيغًا اسمية وفعلية وأداتية، أما من الأدوات فقد جعلوا له حرفًا واحدًا هو اللام الجازمة التي تدخل على الفعل المضارع فتجزمه والتي سموها لام الأمر. وقد حددوا معناها بأنه الأمر وما أشبهه من الالتماس والدعاء والتهديد... وجميع ما يخرج إليه الأمر من معان مجازية"[2]، ثم توالى المصدر المؤول من أن+ الفعل المضارع: "أن نأخذ – أن نعرض-أن نبدأ"، ويذكر ابن هشام الأنصاري (ت 761 هـ) أنَّ "أَنْ" هنا "تخلِّص المضارع للاستقبال"[3].

القضية الأولى: مصر شرقية أم غربية: يرى طه حسين أن مصر أقرب لدول حوض البحر المتوسط منها لدول الشرق، وينكر باستمرار ارتباط مصر بأصولها الشرقية؛ حيث يرى أن مصر لها تاريخ وحضارة تختلف عن حضارة العرب والحضارات الشرقية، معللًا ذلك بأن تاريخ مصر يؤكد على تمتعها بعلاقة قوية مع الحضارة اليونانية والرومانية القديمة فأثرت وتأثرت بها.

- **النموذج الأول:** وتُقسَّم البنية الحجاجية في هذا النموذج إلى وقائع وحجج تدعمها:

(1) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج 1، ص9 – 11.
(2) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دار التنوير، الجزائر، الطبعة الأولى، 2008، ص142.
(3) ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق: د.مازن المبارك، دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى، 1964، ج1، ص26.

وقائع يبنى عليها: "أنا مقتنع بأن الله وحده هو القادر على أن يخلق شيئًا من لا شيء. فأما الناس فإنهم لا يستطيعون ذلك ولا يقدرون عليه، وأنا من أجل هذا مؤمن بأن مصر الجديدة لن تبتكر ابتكارًا ولن تخترع اختراعًا، ولن تقوم إلا على مصر القديمة الخالدة، وبأن مستقبل الثقافة في مصر لن يكون إلا امتدادًا صالحًا راقيًا ممتازًا لحاضرها المتواضع المتهالك الضعيف".[1]

دعوى: "هل العقل المصري شرقي التصور والإدراك والفهم والحكم على الأشياء؟ وبعبارة موجزة جلية أيهما أيسر على العقل المصري: أن يفهم الرجل الصيني أو الياباني، أو أن يفهم الرجل الفرنسي أو الإنجليزي؟".[2]

حجج (تدعيم):

1- **"ما أظن أن علماء التاريخ المصري القديم يستطيعون أن يدلونا على آثار أو نصوص تشهد بوجود هذه الصلات المستمرة المنظمة بين مصر في عصورها الأولى وبين الشرق الأقصى. ولعل أقصى ما يستطيعون أن يتحدثوا به إلينا في ذلك إنما هي محاولات يكاد ينم عنها التاريخ في آخر العصر الفرعوني، تظهر ميل المصريين إلى أن يستكشفوا سواحل البحر الأحمر مبعدين في ذلك بعض الشيء، ولكن في شيء من الحذر والاحتياط والاستحياء.**
2- **والتلاميذ يتعلمون في المدارس أن مصر عرفت اليونان منذ عهد بعيد جدًا، وأن المستعمرات اليونانية قد أقرها الفراعنة في مصر قبل الألف الأول قبل المسيح. والتلاميذ يتعلمون في المدارس أيضًا أن أمة شرقية بعيدة عن مصر بعض الشيء قد أغارت عليها، وأزالت سلطانها في آخر القرن السادس قبل المسيح، وهي الأمم الفارسية. فلم تذعن مصر لهذا السلطان الشرقي الأجنبي إلا كارهة، وظلت تقاومه أشد المقاومة وأعنفها، مستعينة على ذلك بمتطوعة اليونان حينا، وبمخالفة المدن اليونانية حينًا آخر، حتى كان عصر الإسكندر. ومعنى هذا كله واضح جدًا: وهو أن العقل المصري لم يتصل بعقل الشرق الأقصى اتصالًا ذا خطر، ولم يعش عيشة سلم وتعاون مع العقل الفارسي، وإنما عاش معه عيشة حرب وخصام"[3].**

أقام طه حسين حجاجه على مقدمة أسسها على حقيقة لا شك فيها: "**أنا مقتنع بأن الله وحده هو القادر على أن يخلق شيئًا من لا شيء**"، وقد صاغها في جملة اسمية لإفادة الثبوت والاستقرار، ثم جاء الرابط "أما"، وهو رابط وظيفته المقارنة بين قدرة الله وقدرة البشر. هذه المقارنة جاءت مقدمة لنتيجة مفادها أن التطور لن يحدث إلا تأسيسًا على ما سبق؛ ولذلك استخدم أسلوب القصر بأداة النفي "لن" للمستقبل، وأداة الاستثناء "إلا" الذي يعرفه د. تمام حسان بأنه: "تأكيد بنفي الغير وإثبات الحكم للموضوع ويكون ذلك صراحة بحرف النفي وإلا، وضمنًا بإنما...ومعنى القصر في الحالتين اختصاص أحد العنصرين دون غيره بالآخر ومن ثم تأكيد النسبة بينه وبين الآخر".[4] ويعرفه عبد الله صولة قائلًا: "القصر ضرب من التوكيد وتكرير لجملة الخبر الابتدائي مرتين أو أكثر فهو عند بعضهم توكيد مضاعف".[5]

(1) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص12.
(2) المصدر السابق، ص13.
(3) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص13-15.
(4)تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى، يناير 1993، جـ2، صـ136.
(5) عبد الله صولة: في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، مكسيلياني للنشر، تونس، الطبعة الأولى، 2011، ص124.

ثم ختم حديثه بسلسلة من السلاسل اللفظية التي تعد من الوسائل اللغوية الإقناعية البارزة في الخطاب الإقناعي[1]: "المتواضع المتهالك الضعيف"، لوصف الحاضر الذي كانت عليه مصر في تلك الفترة.

بدأ طه حسين قضيته باستفهام يمثل دعوى القضية؛ حتى يترك الفرصة للقارئ لإعمال عقله في الإجابة عن هذا السؤال، وقد صاغ الاستفهام بطريقتين مختلفتين، الثانية أكثر وضوحًا وقربًا من الفكرة التي يقصدها.

والاستفهام هنا استفهام حقيقي، يقسمه د. أسامة البحيري إلى بعدين:" البعد الخارجي (صورة الشيء)، وهو يحتوي على طرفين هما: المتلقي (الخاص أو العام)، والسياق؛ أي إنه يبرز وظيفتين هما: الوظيفة الطلبية، والوظيفة المرجعية. والبعد الداخلي (الذهن)، وهو يشير إلى المتكلم؛ أي الوظيفة الانفعالية، وهي ليست وظيفة ثابتة، فكثيرًا ما تتحول إلى الوظيفة الطلبية". [2]

فهو يخاطب المتلقي الذي وضَّح له في البداية الهدف من كتابة هذه المقالات؛ ولذلك حاول تبسيط مضمون السؤال بطرح شكل أكثر تحديدًا.

دَعَّمَ طه حسين دعواه بأكثر من حجة، الأولى تاريخية؛ حيث نفى وجود أي آثار تاريخية في العصور القديمة بين مصر والشرق الأقصى، مستخدمًا الروابط الحجاجية: "إنما" لإفادة القصر بأن الاتصال بين مصر والشرق كان في آخر العصر الفرعوني. ويرى د. أسامة البحيري أن القصر بـ(إنما) يُستخدم: "فيما يعلمه المخاطب ولا ينكره، ولذلك فإن الصياغة تنتج دلالة تعريضية موازية لدلالتها المباشرة، لأن المتلقي لن يفيد شيئًا إذا وجهت له رسالة يعلم مضمونها تمام العلم... وقد يكون مضمون الرسالة مجهولًا مطموسًا، ولكن المرسل يدعي ظهوره ووضوحه، فيستعمل طريق القصر بـ(إنما) لتوصيل رسالته، خروجًا على خلاف مقتضى الظاهر، لتعكس الصياغة هذا القصد الادعائي".[3]

أما الحجة الثانية فهي تخص الزمن الحاضر؛ حيث يتحدث عما يتعلمه التلاميذ في المدارس، وقد كرر جملة: **"التلاميذ يتعلمون في المدارس"**، وهو تكرار مفاتيح الجمل. وتوضح د. إيمان السعيد هذا النوع قائلةً: "هو ما يسمى في علم الأسلوب العام بالتكرير الاستهلالي، سواء أكان المكرر لفظًا أو عبارة، وسواء أتكرر بذاته أم بشيء من التغيير في الصياغة"[4]، لتأكيد دعواه بأن مصر كانت علاقتها مع اليونان أقوى وأوطد من علاقتها بالشرق. كما أنه احتج بنموذج يؤيد صدق دعواه، وهو علاقة مصر السيئة بالدولة الفارسية التي كانت تحاول السيطرة على مصر بالقوة، خاتمًا حجته بتلخيص ما ذكره بادئًا بعبارة: **"ومعنى هذا كله واضح جدًا: وهو أن العقل المصري لم يتصل بعقل الشرق الأقصى اتصالًا ذا خطر، ولم يعش عيشة سلم وتعاون مع العقل الفارسي"**، نافيًا باستخدام الأداة "لم" وهي هنا: "حرف جزم لنفي المضارع وقلبه"[5] التي تنفي وجود أية علاقة بين الشعب المصري والشرق الأقصى. وقد كرر كلمة "العقل" للإشارة إلى الشعوب؛ لأن العقل هو المحرك لأفعال الشعوب.

- **النموذج الثاني:** تقسم البنية الحجاجية في هذا النموذج إلى مقدمة وحجة تدعمها:

(1)إيمان السعيد جلال: تطور لغة الخطاب السياسي في مقالات فتحي رضوان، مايو 1999، ص26.
(2)أسامة البحيري: تحولات البنية في البلاغة العربية، دار الحضارة، الطبعة الأولى، 2000، ص103.
(3) أسامة البحيري: تحولات البنية في البلاغة العربية، ص195-196.
(4) إيمان السعيد: الوسائل اللغوية للتأثير والإقناع في مقالات إحسان عبد القدوس حول قضية الأسلحة الفاسدة، صحيفة الألسن، العدد 24، يناير 2008، صـــ47.
(5) ابن هشام الأنصاري: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ج1، ص307.

مقدمة: "أن العقل المصري منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط، وإن تبادل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط".[1]

الحجة: "أن تبادل المنافع بين العقل المصري والعقل اليوناني في العصور القديمة قد كان شيئًا يشرف به اليونان، ويتمدحون به فيما يكتبون من نثر. فمصر مذكورة أحسن الذكر في شعر القصاص اليونانيين، وهي مذكورة أحسن الذكر في شعر الممثلين اليونانيين، ثم هي مذكورة أحسن الذكر عند هيرودوت وممن جاء بعده من الكتاب والفلاسفة... وإذن فالعقل المصري القديم ليس عقلًا شرقيًا إذا فُهِم من الشرق الصين واليابان والهند وما يتصل بها من الأقطار".[2]

جاءت المقدمة هنا من الوقائع التي يمكن تعريفها بأنها: "تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس. إن الوقائع لا تكون عرضة للدحض أو الشك وهي تشكل نقطة انطلاق ممكنة للحجاج"[3]. فطه حسين يعرض واقعًا بناه على ما ذكره سابقًا من حجج، وقد صاغ هذا الواقع في صورة أسلوب شرط أداته "إن" في جملة "**أن العقل المصري منذ عصوره الأولى عقل إن تأثر بشيء فإنما يتأثر بالبحر الأبيض المتوسط، وإن تبادل المنافع على اختلافها فإنما يتبادلها مع شعوب البحر الأبيض المتوسط**"، ويقول الجرجاني (ت 471 هـ) في كتابه "المقتصد": "تدخل (إن) على الفعل الماضي فتقلب معناه إلى الاستقبال كما قلبت "لم" معنى يفعل إلى فَعَل، تقول: إن خرجت خرجت، والمعنى: إن تخرج أخرج. فلا يجوز أن تقول: إن خرجت أمس كان محالًا. وهذا القلب في "إن" أوجب منه في "لم"؛ لأن "لم" معناه النفي، وذلك لا يقتضي الماضي دون الحال والاستقبال، وليس كذلك "إن" لأنه موضوع على الشرط والجزاء فلا يكون إلا في المستقبل".[4]

وجاء بفعل الشرط ماضيًا لأنه يتحدث عن العصر الفرعوني، وجاء جواب الشرط مقترنًا بالفاء بادئًا بـ"إنما" أداة القصر لإفادة التخصيص والتوكيد. فهو يقصر التأثر المادي والمعنوي لمصر على شعوب البحر الأبيض المتوسط.

وكانت حجته في هذا الأمثلة التي ذكرها ليدلل على حب اليونانيين للمصريين، ويُعَرَّف المثال بأنه: "يتقدم كحالة خاصة وملموسة، موجزًا أو مفصلًا لتدعيم أطروحة أو للمساهمة في تأسيسها، وهو حجة جارية تقدم قبل الأطروحة أو بعدها أو بالموازاة معها؛ ويستعمل المثل أيضا كوسيلة للدحض فيسمى المثل المضاد الجدلي". [5]

وقد كرر طه حسين عبارة "مذكورة أحسن الذكر" ثلاث مرات للتأكيد على مدى اعتزاز اليونانيين وفخرهم بالمصريين. وتحدث ابن الأثير (637هـ) عن أهمية التكرار بقوله: "المفيد من التكرير يأتي في الكلام

---

(1) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص15.
(2) المصدر السابق، ص16.
(3) هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب منوبة، تونس، ص308.
(4) عبد القاهر الجرجاني: المقتصد في شرح الإيضاح، تحقيق: د. كاظم بحر المرجان، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، 1982، جـ2، ص1095-1096.
(5)محمد طروس: النظرية الحجاجية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2005، ص36.

تأكيدًا له وتشييدًا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك؛ إما مبالغةً في مدحه أو في ذمه أو غير ذلك". [1]

- **النموذج الثالث:** تنقسم البنية الحجاجية في هذا النموذج إلى دعوى ونموذج لتدعيم هذه الدعوى:

دعوى: "ومن المحقق أن تطور الحياة الإنسانية قد قضى منذ عهد بعيد بأن وحدة الدين، ووحدة اللغة، لا تصلحان أساسًا للوحدة السياسية ولا قوامًا لتكوين الدول".[2]

تدعيم (نموذج): "فالمسلمون أنفسهم منذ عهد بعيد قد عدلوا عن اتخاذ الوحدة الدينية واللغوية أساسًا للملك وقوامًا للدولة. وليس المهم أن يكون هذا حسنًا أو قبيحًا، وإنما المهم أن يكون حقيقة واقعة. وما أظن أحدًا يجادل في أن المسلمين قد أقاموا سياستهم على المنافع العملية، وعدلوا عن إقامتها على الوحدة الدينية واللغوية والجنسية أيضًا، قبل أن ينقضي القرن الثاني للهجرة، حين كانت الدولة الأموية في الأندلس تخاصم الدولة العباسية في العراق".[3]

بنى طه حسين حجاجه على مقدمة من الحقائق، وتُعَرَّف الحقائق بأنها: "أنظمة أكثر تعقيدًا من الوقائع وتقوم على الربط بين الوقائع. ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية. وقد يعمد الخطيب إلى الربط بين الوقائع والحقائق من حيث هي موضوعات متفق عليها ليحدث موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة"[4]. ثم كرر طه حسين كلمة "الوحدة" للتأكيد على أن الوحدة السياسية لا تُبنى على وحدة اللغة والدين.

وقد دعم حجته بنموذج وهو: **"فالمسلمون أنفسهم منذ عهد بعيد قد عدلوا عن اتخاذ الوحدة الدينية واللغوية أساسًا للملك وقوامًا للدولة. وليس المهم أن يكون هذا حسنًا أو قبيحًا، وإنما المهم أن يكون حقيقة واقعة. وما أظن أحدًا يجادل في أن المسلمين قد أقاموا سياستهم على المنافع العملية، وعدلوا عن إقامتها على الوحدة الدينية واللغوية والجنسية أيضًا، قبل أن ينقضي القرن الثاني للهجرة، حين كانت الدولة الأموية في الأندلس تخاصم الدولة العباسية في العراق".** ويعد النموذج من الحجج الاستقرائية، ويُعَرَّف بأنه: "وسيلة تعبيرية مؤسسة على حجة السلوك باعتبار السلوك قدوة تستوحى من الأشخاص أو الجماعات أو الأفكار أو المذاهب... تؤكدها قيمة الأفعال، وذلك لميل طبيعي في الناس نحو الاقتداء بنماذج معينة. حيث تعتبر في القول الحجاجي مقدمات تستخلص منها نتائج معينة تؤدي إلى امتداح سلوك خاص، يمتلك بعض مظاهر التميز. إن النموذج لا يصلح فقط لتأسيس أو بلورة قاعدة معينة كما في المثال والشاهد، بل يدفع إلى فعل شيء مستوحى من النموذج، لوجود سلوكيات عفوية للاقتداء في الإنسان"[5]. فقد اتخذ الدولة الإسلامية نموذجًا لتغليب المنفعة والمصلحة العامة على الوحدة الدينية واللغوية.

- **النموذج الرابع:** يبدأ طه حسين هنا بالنتيجة ثم يستدل عليها بحجج تدعم هذه النتيجة، فقد توصل -مما ذكره من حجج سابقة- إلى هذه النتيجة، مستخدمًا الرابط "إذن" قائلًا: **"كان العقل المصري إذن إلى**

---

[1] ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، د.ت، جـ3، صـ4.
[2] طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص18.
[3] طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص19.
[4] هشام الريفي: الحجاج عند أرسطو، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص309.
[5] عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، أفريقيا الشرق،2006، صـ95 - 96.

أيام الإسكندر مؤثرًا في العقل اليوناني متأثرًا به، مشاركًا له في كثير من خصاله إن لم يشاركه في خصاله كلها". [1]

ثم جاء بحجتين تاريخيتين هما:

- الحجة الأولى: "فلما كان فتح الإسكندر للبلاد الشرقية، واستقرار خلفائه في هذه البلاد، اشتد اتصال الشرق بحضارة اليونان، واشتد اتصال مصر بهذه الحضارة بنوع خاص، وأصبحت مصر دولة يونانية أو كاليونانية، وأصبحت الإسكندرية عاصمة من عواصم اليونان للعالم القديم، بل أعظم مصدر لهذه الثقافة في ذلك الوقت".

- الحجة الثانية: "نظرة يسيرة في أيسر الكتب التي تدرس التاريخ السياسي والثقافي في ذلك العصر تبين في وضوح لا يحتمل الشك أن مدينة الإسكندرية لم تكن مدينة شرقية بالمعنى الذي يُفهم الآن من هذه الكلمة، وإنما كانت مدينة يونانية بأدق معاني هذه الكلمة وأصدقها وأجلاها". [2]

الأولى بدأ فيها برابط زمني شرطي "لما"، فِعْله ماضٍ **"كان فتح الإسكندر للبلاد الشرقية"**، وجوابه **"اشتد اتصال الشرق بحضارة اليونان"**، وانتهت هذه الحجة بقوله: **"أصبحت الإسكندرية عاصمة من عواصم اليونان للعالم القديم، بل أعظم مصدر لهذه الثقافة في ذلك الوقت"**. وقد جاء الرابط "بل" هنا رابطًا تصاعديًا، فما بعده أقوى مما قبله.

ثم تأتي الحجة الثانية التي اعتمد فيها كتب المؤرخين؛ حيث يرى أن الإسكندرية كانت مدينة يونانية؛ لذلك استخدم أداة القصر "إنما" لتأكيد كلامه، وهي من أدوات السلم الحجاجي؛ وسبب إفادة "إنما" معنى القصر هو تضمينه معنى "ما" و"إلا". [3]

- **النموذج الخامس:** تنقسم فيه البنية الحجاجية؛ حيث يقارن طه حسين هنا بين دخول الإسلام مصر ودخول المسيحية أوروبا، ثم يدعمه بنموذج، خاتمًا بنتيجة توصل إليها مما سبق:

"وجاء الإسلام وانتشر في أقطار الأرض، وتلقته مصر لقاءً حسنا، وأسرعت إليه إسراعًا شديدًا، فاتخذته لها دينًا، واتخذت لغته العربية لها لغة. فهل أخرجها ذلك عن عقليتها الأولى، وهل جعلها ذلك أمة شرقية بالمعنى الذي يُفهم من هذه الكلمة الآن؟

كلا! لأن المسيحية التي ظهرت في الشرق قد غمرت أوروبا، واستأثرت بها دون غيرها من الديانات، فلم تصبح أوروبا شرقية، ولم تتغير طبيعة العقل الأوروبي. وإذا كان فلاسفة أوروبا وقادة الرأي الحديث فيها يعدون المسيحية عنصرًا من عناصر العقل الأوروبي فلست أدري ما الذي يفرق بين المسيحية والإسلام وكلاهما قد ظهر في الشرق الجغرافي، وكلاهما قد نبع من منبع كريم واحد، وهبط به الوحي من لدن إله واحد يؤمن به الشرقيون والغربيون على السواء؟

([1]) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص21.
([2]) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص21.
([3]) عبد الهادي الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص520.

وكيف يستقيم للعقل السليم والرأي المنصف أن يقرأ الأوروبيون الإنجيل فلا يرون به بأسًا على العقل الأوروبي، ولا يرون أنه ينقل هذا العقل من الغرب إلى الشرق، فإذا قرأوا القرآن رأوه شرقيا خالصًا مع أن القرآن كما يقول في غير عوج ولا التواء إنما جاء متممًا ومصدقًا لما في الإنجيل؟".[1]

تمثل المقارنة وسيلة من وسائل الإقناع؛ حيث إنها تُوَظَّف في قواعد استنتاج عديدة تعتمد على علاقة قياس عنصر ما بعنصر آخر، أي إنه -مثلًا- يكتسب قيمة أو يفقدها عن طريق مقارنته بعنصر آخر. إن الحجاج بالمقارنة قريب من الحجاج بالتمثيل، ولكن المقارنة تركز على العنصر القياسي الكمي في العلاقة لا على التشبيه الكيفي. [2]

وقد صاغ طه حسين هذه المقارنة في شكل استفهام مجازي غرضه التعجب والاستنكار: **"فهل أخرجها ذلك عن عقليتها الأولى، وهل جعلها ذلك أمة شرقية بالمعنى الذي يُفهم من هذه الكلمة الآن؟"**، وهو استفهام يعمل على إشراك المخاطب في الخطاب، وفي النتيجة كذلك مما يستلزمه السؤال من جواب ضمني بتأكيد المعنى من طرفي الخطاب؛ فهو يؤكد فكرة أن الدين لا يمحو العقلية الأولى للشعوب. وقد أجاب عن السؤال بـ"كلا" في بداية الفقرة الثانية من النص للردع والزجر عن التفكير بهذا الشكل.

كما أنه جمع بين الدين الإسلامي والمسيحي في استفهام آخر وجواب للشرط في الوقت نفسه: "فلست أدري ما الذي يفرق بين المسيحية والإسلام... يؤمن به الشرقيون والغربيون على السواء؟".

وفي قوله: **"وكيف يستقيم للعقل السليم والرأي المنصف أن يقرأ الأوروبيون الإنجيل فلا يرون به بأسًا على العقل الأوروبي، ولا يرون أنه ينقل هذا العقل من الغرب إلى الشرق، فإذا قرأوا القرآن رأوه شرقيا خالصًا مع أن القرآن كما يقول في غير عوج ولا التواء إنما جاء متممًا ومصدقًا لما في الإنجيل؟"**، يطرح استفهامًا تعجبيًا استنكاريًا حول منطقية التفريق بين الإنجيل والقرآن؛ فالأول يرى الأوروبيون أنه لا يؤثر في العقلية الأوروبية، في حين يرون القرآن شرقيًا، وهو في الحقيقة متمم للإنجيل. وترى الدراسة أنه لكي يثبت رأيه يحاول تغيير الحقائق، فما الداعي إلى إدخال الكتب السماوية في تغيير العقليات من شرقية إلى غربية أو العكس؟!

استخدم طه حسين في إثبات هذه الدعوى وسائل لغوية متعددة، منها: النفي بـ"لا" مع الفعل المضارع "يرون"، وأسلوب القصر مستعينًا بالأداة "إنما"، وتكرار مطالع الجمل "لا يرون". وتطلق كورنيليا فون راد على أسلوب طه حسين الأسلوب التثبيتي، وتعرفه بأنه: "إثبات المعنى الذي يريده عن طريق أساليب لغوية. ومن القرائن التي تدل على هذه الميزة في خطابه كثرة أساليب الإثبات والحصر". [3]

يكمل طه حسين بعد ذلك سرد الحجج التي تدعم رأيه، وقد بدأها بحقيقة توصل إليها من الحجج السابقة؛ حيث ذكر أوجه الشبه بين الإسلام والمسيحية قائلًا: **"جوهر الإسلام ومصدره هو جوهر المسيحية ومصدرها.**

(1) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص23.
(2) كورنيليا فون راد – صكوحي: الحجاج في المقام المدرسي، ص21 بتصرف.
(3) كورنيليا فون راد – صكوحي: الحجاج في المقام المدرسي، ص105.

واتصال الإسلام بالفلسفة اليونانية هو اتصال المسيحية بالفلسفة اليونانية. فمن أين يأتي التفريق بين ما لهاتين الديانتين من الأثر في تكوين العقل الذي ورثته الإنسانية عن شعوب الشرق القريب وعن اليونان؟".

مضيفًا بعد ذلك حجة أقوى في السلم الحجاجي مستعينًا بالرابط الحجاجي "بل"؛ إذ تكمن حجاجيته في أن المرسل يرتب بها الحجج في السلم الحجاجي.

"بل نحن نذهب إلى أبعد من هذا. فقد أغارت على أوروبا اليونانية الرومانية أمم جاهلة لا حظَّ لها من حضارة، ولا من ثقافة، ولا من دين صحيح، فأفسدت عليها أمرها إفسادًا شديدًا، وعَرَّضت حضارتها لخطر عظيم، وكادت تطفئ سراج ذلك العقل اليوناني الذي كان يضيء فيها قبل انهيار الإمبراطورية الرومانية... وفي أثناء ذلك كان الإسلام يترجم الفلسفة اليونانية ويذيعها وينميها ويضيف إليها، ثم ينقلها إلى أوربا فتترجم إلى لغتها اللاتينية، وتشيع الحياة في العقل الأوروبي، وتبعث فيه القوة والنشاط، وتمكنه من أن يعود إلى الإشراق والتألق، في القرن الثاني عشر بعد المسيح. فما بال اتصال أوروبا بالثقافة اليونانية إبان النهضة يعد من مقومات هذا العقل، وما بال اتصال الإسلام نفسه بالفلسفة اليونانية في عصوره الأولى لا يعد من مقومات هذا العقل، ولا يلغي ما يمكن أن يكون من الفروق بين الأمم التي تعيش في شرق بحر الروم والأمم التي تعيش غرب هذا البحر نفسه؟"[1]

عقد طه حسين مقارنة بين حال الأوروبيين والمسلمين في القرن الثاني عشر؛ فقد كانت الدول الأوروبية غارقة في الجهل والظلام في حين كانت الدولة الإسلامية في أوج ازدهارها، تترجم العلوم اليونانية وتنقلها إلى أوروبا لتحدث بها نهضة علمية وفكرية.

وختم حجته بجمل الاستفهام الاستنكاري التي تبدأ بـ**"فما بال اتصال أوروبا بالثقافة اليونانية إبان النهضة يعد من مقومات هذا العقل، وما بال اتصال الإسلام نفسه بالفلسفة اليونانية في عصوره الأولى لا يعد من مقومات هذا العقل، ولا يلغي ما يمكن أن يكون من الفروق بين الأمم التي تعيش في شرق بحر الروم والأمم التي تعيش غرب هذا البحر نفسه؟"**، التي يستنكر فيها التفريق بين أهمية اتصال أوروبا بالثقافة اليونانية واتصال الإسلام بها، وظهرت التفرقة في التضاد بين "يُعَدُّ، ولا يُعَدُّ".

ثم أتى بحجة تمثلت في هذه المحاضرة التي أشار إليها بقوله: **"محاضرة ألقاها المؤرخ البلجيكي العظيم بيرين في الجمعية الجغرافية وفي ظل كلية الآداب، فإذا هو يعلن في هذه المحاضرة أشياء لم يلتفت إليها الناس يومئذ، ولكنها تركت في نفسي أثرًا عميقًا. كان يعلن أن إغارة الأمم المتبربرة على أوروبا لم تكن لتردها إلى الجهل الذي رُدَّت إليه في القرون الوسطى لو أن العلاقات البحرية ظلت متصلة بين الشرق والغرب. ولكن ظهور الإسلام، وقيام الخصومة بينه وبين المسيحية، قد قطع هذه العلاقات حينًا من الدهر، فاضطرت أوروبا إلى الفقر والبؤس، وانتهى ذلك بها إلى الضعف الاقتصادي، ثم إلى الجهل العميق. فلما أُسْتُؤْنِفَت الصلات بين الشرق والغرب نشطت أوروبا من عقالها، وخرجت من الفقر إلى الغنى ومن الجهل إلى المعرفة ومن الظلمة إلى النور"**[2]. ويستدل بها على أن مصر أقرب إلى اليونان، وهي حجة سلطة، ويوضح د. عبد القادر الشهري أهمية هذا النوع من الحجج قائلًا: "الحجج الجاهزة أو الشواهد هي من دعامات الحجاج القوية؛ إذ يضعها المرسل في الموضع المناسب، وهنا تتبدى أهليته وبراعته في توظيفها حسب ما

(1) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص24-25.
(2) المصدر السابق، ص25.

يتطلبه السياق. ويكمن تصنيفها في السلم الحجاجي بالنظر إلى طبيعتها المصدرية، فهي ليست من إنتاج المرسل بقدر ما هي منقولة على لسانه، ونقلها على لسانه ينبئ عن كفاءته التداولية، إذ يكمن دوره في توظيفها التوظيف المناسب في خطابه، وبهذا فهي تعلو الكلام العادي درجة، مما يجعلها ترقى في السلم الحجاجي إلى ما هو أرفع. وتسهم هذه الآلية في رفع ذات المرسل إلى درجة أعلى، وبالتالي منحها قوة سلطوية بالخطاب"[1]

ثم خرج من هذه الحجة إلى النتيجة بقوله:

"ومعنى ذلك عندي أن قوام الحياة العقلية في أوروبا إنما هو اتصالها بالشرق عن طريق البحر الأبيض المتوسط. فما بال هذا البحر ينشئ في الغرب عقلًا ممتازًا متفوقًا، ويترك الشرق بلا عقل، أو ينشئ فيه عقلًا منحطًا ضعيفًا؟ وما بال العقل الذي ينشئه البحر نفسه على ساحله الشرقي، وما بال الفلسفة اليونانية التي نشأت ونمت على الساحل الشرقي لبحر الروم في العصور القديمة وفي القرون الوسطى، لا تؤثر في عقول أصحابها شيئًا، فإذا أرسلوها إلى غرب هذا البحر خلقت أهل هذا الغرب خلقًا جديدًا؟"[2]

بدأ النتيجة بقوله: "معنى ذلك عندي"، أي نتيجة ما توصل إليه مما سبق، ثم كرر أداة الاستفهام "ما" في استفهامه الاستنكاري التعجبي الذي تتضمن كل جملة فيه مقارنة بين الشرق والغرب.

بنى طه حسين مقدمته على ما توصل إليه من نتائج سابقة في قوله: **"إذن فكل شيء يدل على أنه ليس هناك عقل أوربي يمتاز عن هذا العقل الشرقي الذي يعيش في مصر وما جاورها من بلاد الشرق القريب. وإنما هو عقل واحد، تختلف عليه الظروف المتباينة المتضادة، فتؤثر آثارًا متباينة متضادة. ولكن جوهره واحد ليس فيه تفاوت ولا اختلاف.**

تدعيم (مثال): خذ نتائج العقل الإسلامي كلها. فستراها تنحل إلى هذه الآثار الأدبية والفلسفية والفنية، التي مهما تكن مشخصاتها فهي متصلة بحضارة اليونان وما فيها من أدب وفلسفة وفن، وإلى هذه السياسة والفقه اللذين مهما يكن أمرهما فهما متصلان أشد الاتصال بما كان للرومان من سياسة وفقه، وإلى هذا الدين الإسلامي الكريم وما يدعو إليه من خير وما يحث عليه من إحسان. ومهما يقل القائلون فلن يستطيعوا أن ينكروا أن الإسلام قد جاء متممًا ومصدقًا للتوراة والإنجيل.

نتيجة: إذن مهما نبحث ومهما نستقصِ فلن نجد ما يحملنا على أن نقبل أن بين العقل الأوروبي والعقل المصري فرقًا جوهريًا". [3]

لذلك بدأ بالرابط الاستنتاجي "إذن" ثم أثبت مقدمته بالرابط التثبيتي "إنما"؛ حيث يرى أن العقل المصري مثل العقل الأوروبي، ثم كرر كلمتي "متباينة متضادة" مرتين لتوحيد ما يتعرض له كلا العقلين، فاستدرك بالرابط "لكن" لتأكيد وحدة العقل المصري والعقل الأوروبي.

ثم دعم هذه المقدمة بمثال هو الثقافة الإسلامية التي يرى أن مصدرها الثقافة اليونانية في العلوم كافة، وأخيرًا ختم بالنتيجة التي يريد تثبيتها في عقل القارئ بالطرق كلها: وهي أن العقل المصري والأوروبي واحد لا فرق بينهما.

([1])عبد القادر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص537.
([2]) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص26.
([3]) المصدر السابق، ص28-29.

- **النموذج السادس:** انتقل طه حسين إلى جانب آخر من جوانب التشابه بين المصريين والأوروبيين، وهو الحياة المادية، وجعلها مرهونة بالحالة المادية وسعة اليد؛ فقسم البنية الحجاجية إلى حقيقة ونتيجة، داعمًا إياها بنموذج:

حقيقة: "حياتنا المادية أوروبية خالصة في الطبقات الراقية. وهي في الطبقات الأخرى تختلف قربًا وبعدًا من الحياة الأوربية باختلاف قدرة الأفراد والجماعات، وحظوظهم من الثروة وسعة ذات اليد"[1]

ثم توصل إلى نتيجة بادئًا بقوله "معنى هذا"، وهي أن النموذج المفضل لدى المصريين هو النموذج الأوروبي، قائلًا: **"معنى هذا أن المثل الأعلى للمصري في حياته المادية إنما هو المثل الأعلى للأوروبي في حياته المادية. نتخذ من مرافق الحياة وأدواتها ما يتخذون، ونتخذ من زينة الحياة ومظاهرها ما يتخذون".[2]**

وقام بصياغة جملتين متوازيتين، وتتحدث باربرا جونستون عن التوازي قائلة: "خطاب الإقناع العربي خطاب تكراري على نحو معقد. إنه مبني على التوازي بناءً كليًا تقريبًا؛ إذ تتضام المفردات المترادفة في مزاوجات معجمية؛ فالجذور اللغوية والصيغ الصرفية تتكرر، وتنتج المتكررات التركيبية عباراتٍ وجملًا متوازية"[3]. وكان التوازي في هاتين الجملتين: **"نتخذ من مرافق الحياة وأدواتها ما يتخذون، ونتخذ من زينة الحياة ومظاهرها ما يتخذون".** والتكرير هنا لإفادة العموم والشمول، والتأكيد على رغبة المصريين في الاقتداء بالحياة الأوروبية في كل شيء.

وأخيرًا دعَّم حجته بنموذج، وهو الشعب الياباني الذي كان محافظًا على تقاليده وأسلوب حياته، إلا أنه غيَّره وجارى الأوروبيين في حياتهم، حتى تفوق عليهم وأصبح يُحسب له ألف حساب: **"كيف نصور ما نستحقه من اللوم حين نذكر أن الشعب الياباني من شعوب الشرق الأقصى قد كان يخالف في حياته المادية والعقلية أشد المخالفة وأقواها شعوب أوروبا. فما هي إلا أن أحس ألا سبيل له إلى أن يعيش كريمًا حتى يشبه الأوروبيين في كل شيء ويزاحمهم في ميادينهم، ويجاريهم في سيرتهم، فما هي إلا أن هَمَّ حتى فَعَل، وما هي إلا أن أراد. وإذا هو شعب مهيب تشفق منه أوروبا أشد الإشفاق، وتصانعه أشد المصانعة، وتمنحه ما هو أهل له من الإكبار والإجلال والاحترام".[4]**

كرر طه حسين أسلوب القصر "ما / إلا" لتثبيت وتأكيد فكرة أن تفوق اليابانيين يرجع إلى أنهم احتذوا حذو الأوروبيين، وزادوا عليه وطوروا أنفسهم حتى أصبحوا في مقام أعلى، وختم حديثه بسلسلة من الألفاظ الانفعالية "الإكبار والإجلال والاحترام"، وهي ألفاظ مترادفة معطوفة توحي بمدى تقدير الأوروبيين لما وصل إليه اليابانيون.

يبدأ طه حسين بعد ذلك في ذكر الاعتراضات ويرد عليها:

- **الاعتراض الأول:**

الرأي المضاد لرأيه: "وأنا أعلم أن كثيرًا من الناس سيلقون هذا النحو من التفكير بشيء غير قليل من الإنكار له والازورار عنه. منهم من ينكر مشفقًا ويزور خائفًا، لا يدفعه إلى الإنكار والازورار إلا الإخلاص وحسن القصد وسلامة الضمير. ومنهم من يتكلف الإشفاق والخوف، ويعلن الإنكار والازورار داعيًا بالويل

(1) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص30.
(2) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص30.
(3) باربرا جونستون: التوازي في العربية التعديل قالبًا للإقناع، ضمن كتاب: بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، ترجمة د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2013، ص50.
(4) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص37.

والثبور وعظائم الأمور كما يقال ليوقظ فتنة نائمة قد طال عليه نومها، وهو لا يرضى ولا يطمئن إلا إذا أوضع في الفتنة وعاش مستضيئًا بما تثير من اللظى واللهيب.

رده عليها: فأما هؤلاء المتكلفون المتصنعون الذين يكذبون على أنفسهم قبل أن يكذبوا على الناس، والذين يوقظون الفتنة لأنهم لا ينعمون إلا بها ولا يسعدون إلا في ظلها، فما ينبغي أن نحفل بهم ولا أن نفكر فيهم ولا أن نوجه إليهم قولًا ولا أن نسوق إليهم حديثًا؛ لأن السبل إلى إقناعهم منقطعة، وأبواب الأمل في إصلاح ذات نفوسهم مغلقة. فالخير أن يُتركوا لهذه النار التي تضطرم في قلوبهم حتى تأتي على هذه القلوب. وأما الذين يشفقون ويخافون عن إخلاص وصدق وعن حسن قصد وسلامة ضمير فأنا حريص على أن أزيل ما يثور في نفوسهم من شك وأرد إلى قلوبهم الكريمة الطيبة ما هي في حاجة إليه من الأمن والاطمئنان. من هؤلاء الصادقين المخلصين قوم يشفقون على حياتنا الدينية من الاتصال بأوروبا على هذا النحو القوي الصريح الذي أدعو إليه. هم يرون ويسمعون أن في الحياة الأوروبية كثيرًا من الآثام وفنونًا من الموبقات واستباحة لأشياء لا يبيحها ديننا الحنيف. فيقولون في أنفسهم: إن الدعوة إلى الاتصال بالحياة الأوروبية على هذا النحو خليقة أن تغري بما في الحياة الأوروبية من اثم، وتورط فيما فيها من موبقة، وتحرض على ما فيها من مخالفة للدين". [1]

وبعد أن أنهى طه حسين حججه لإثبات أن مصر غربية لا شرقية، بدأ يعرض الفئات التي تعترض على هذا الرأي فقسمهم إلى فئتين: الأولى تنكر خوفًا على الهوية المصرية ودافعها في ذلك قصد حسن، أما الفئة الأخرى فتعترض دون أسباب حقيقية؛ لذلك استخدم للفئة الأولى الفعل "ينكر"، واستخدم للفئة الثانية الفعل "يتكلف". كما استخدم القصر بالأداة "لا وإلا" ليوضح سبب الإنكار والرفض، كما كرر عبارة "الإنكار والازورار" لإفادة العموم والشمول ثلاث مرات، ويُعَرَّف الازورار عن الشيء بأنه: "العدول عنه"[2]، فالازورار أقوى من الإنكار. ثم قام بنوع من التمثيل في قوله: "**ويعلن الإنكار والازورار داعيًا بالويل والثبور وعظائم الأمور كما يقال ليوقظ فتنة نائمة قد طال عليه نومها، وهو لا يرضى ولا يطمئن إلا إذا أوضع في الفتنة وعاش مستضيئًا بما تثير من اللظى واللهيب"**. ويعرفه د. عبد السلام عشير بأنه: "طريقة حجاجية تعلو قيمتها على مفهوم المشابهة المستهلك، حيث لا يرتبط التمثيل بعلاقة المشابهة دائما، وإنما يرتبط بتشابه العلاقة بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة أبدا، ومن ثَمَّ أُعتُبِر عاملًا أساسيًا في عملية الإبداع يُستعمل في الحجاج دون أن تكون له علاقة بالمنطق الصوري، ولكنه ينطلق من التجربة بهدف إفهام فكرة، أو العمل على أن تكون الفكرة مقبولة، وذلك ينقلها من مجال إلى مجال مغاير، جريا على مبدأ الاستعارة".[3]

إن التمثيل تقنية حجاجية لها دور كبير في عملية الإقناع؛ لأنها بالإضافة إلى استخدامها في تقوية رأي المتكلم، فإن المتلقي يُعمِل فيها عقله، ويقوم بعرض الصور في مخيلته، ويربط بعضها ببعض ويبرز أوجه التشابه بينها، ثم يتوصل إلى العلاقة التي يريد المتكلم إيصالها له من خلال هذا التمثيل. وطبقًا لخلفيته الأدبية فقد قام بصورة تمثيلية رائعة؛ حيث صور الفتنة النائمة وكأنها تنين يوقظه الرافضون ولا يتركونه حتى يشعل الدنيا بناره، فيستضيئون بها لأنهم من محبي الدمار والخراب.

([1]) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص46-47.
([2]) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، د.ت، ج4، باب الراء فصل الزاي.
([3])عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص97- 98.

يرد طه حسين بعد ذلك بادئًا بالرابط "أما"، وهو رابط مقارني تفصيلي يعرف بعده المتكلفون تعريفًا وصفيًا، وهو من الحجج غير المنطقية، ويعرفه د. محمد طروس بأنه: "إجراء تعريفي يتم فيه التغاضي عن الخصائص الجوهرية للشيء، وتعويض المصطلح بسلسلة من المفردات الوصفية".[1]

وقد أكثر من استخدام الرابط السببي "لأن" لبيان سبب كذبهم وحبهم لإيقاظ الفتنة، ثم لتبرير طلبه بعدم الحديث إليهم ولا التفكير فيهم. ثم استخدم الرابط "أما" للحديث عن الذين لديهم حسن نية وسلامة قصد؛ فموقفه مختلف منهم، وهو يحاول طمأنة نفوسهم وإزالة الشك عن قلوبهم موضحًا سبب تخوفهم من الاتصال بالحضارة الأوروبية دون رابط سببي قائلًا: **"هم يرون ويسمعون أن في الحياة الأوروبية كثيرًا من الآثام وفنونًا من الموبقات واستباحة لأشياء لا يبيحها ديننا الحنيف"**، ثم قام بنوع من التوازي، وهو علاقة التصميم التي تعني أن: "الجملة الثانية تصمم من خلال الجملة الأولى. وللجملة المصممة حالتان: (الحالة الأولى) أن تكون ملفوظا ("يقول") أي تنصيص مزدوج"[2]؛ فقد صاغ ما قاله بعبارة أخرى على لسانهم.

ثم استدل بعد ذلك بنموذج من العصر العباسي على أخذهم بأسباب الحضارة الفارسية واليونانية، فهم: **"لم يتحرجوا من ذلك ولم يرفضوه. وليس من شك في أنهم جنوا من ذلك بعض الشر فساءت الأخلاق والسير في بعض البيئات وفسدت العقائد ودخائل النفوس في بعضها الآخر. ولكن شيئًا من ذلك لم يرد المسلمين عن الأخذ بأسباب الحضارة الفارسية واليونانية لأنهم جنوا من ذلك ثمرات حلوة لا تزال الإنسانية تستمتع بها إلى الآن. فهم قد صاغوا من هاتين الحضارتين ومن تراثهم القديم هذه الحضارة الإسلامية الرائعة التي أزهرت أيام بني أمية وبني العباس والتي يحرص المحافظون منا عليها أشد الحرص. وهذه الحضارة الإسلامية الرائعة لم يأتِ بها المسلمون من بلاد العرب وإنما أتوا ببعضها من هذه البلاد وببعضها الآخر من مجوس الفرس وببعضها الآخر من نصارى الروم. والذين يظنون أن الحياة يمكن أن تكون كلها خيرًا وبرًا وصلاحًا يخطئون خطأً عظيما. فالخير المطلق في هذه الأرض مستحيل. وقد أراد الله للناس أن تكون حياتهم مزاجًا من الخير والشر وأودع الإنسان عقله وإرادته وأنزل إليه دينه ليميز بين الخير والشر ولينصح لنفسه ويختار لها".**[3]

قام طه حسين في هذا النموذج بشرحه وتحليله بشكل منطقي؛ حيث إنه ذكر إيجابيات وسلبيات اتصال المسلمين في العصر العباسي بالحضارة اليونانية والفارسية، مؤكدًا ذلك بقوله: **"ليس من شك في أنهم جنوا من ذلك بعض الشر فساءت الأخلاق والسير في بعض البيئات"**، ثم استدرك على ذلك بالرابط الاستدراكي "لكن" لكي ينفي الفهم الخاطئ الذي قد يصيب القارئ، معللًا ذلك بالرابط السببي: **"لأنهم جنوا من ذلك ثمرات حلوة لا تزال الإنسانية تستمتع بها إلى الآن"**، مفصلًا بعد ذلك هذه الثمرات الحلوة ليعمق الدعوى التي ينادي بها.

وقد ختم طه حسين حديثه بقاعدة إنسانية ينفي بها وجود الخيرية المطلقة أو الشر المطلق قائلًا: **"الخير المطلق في هذه الأرض مستحيل. وقد أراد الله للناس أن تكون حياتهم مزاجًا من الخير والشر وأودع الإنسان عقله وإرادته وأنزل إليه دينه ليميز بين الخير والشر ولينصح لنفسه ويختار لها"**.

- **الاعتراض الثاني:**

[1] محمد طروس: النظرية الحجاجية، ص27.
[2] محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص256.
[3] طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص49-50.

"الاتصال القوي الصريح بأوروبا قد لا يخلو من الخطر على شخصيتنا القومية وعلى ما ورثناه من ماضينا المجيد من هذا التراث العظيم.

الرد: أنا لا أدعو إلى أن ننكر أنفسنا، ولا إلى أن نجحد ماضينا، ولا إلى أن نفنى في الأوروبيين. وكيف يستقيم هذا وأنا إنما أدعو إلى أن نثبت لأوروبا ونحفظ استقلالنا من عدوانها وطغيانًا من أن تأكلنا؟!"[1]

عرض طه حسين هنا التخوف الثاني، وهو الخوف على التراث الذي ورثناه من أجدادنا، والخوف على الهوية العربية، وجاء الرد هنا موجز في جملتين: الأولى نفي، ينفي بها هذه المخاوف، والثانية استفهام تعجبي كان المستفهم عنه جملة تثبيتية يثبت بها حقيقة ما يدعو إليه.

- **الاعتراض الثالث:**

"الحضارة الأوربية مادية مسرفة في المادية، لا تتصل بالروح أو لا تكاد تتصل به، وهي من أجل ذلك مصدر شر كثير تشقى به أوروبا ويشقى به العالم كله أيضًا.

الرد: من الحق أن الحضارة الأوروبية عظيمة الحظ من المادية، ولكن من الكلام الفارغ والسخف الذي لا يقف عنده عاقل أن يقال إنها قليلة الحظ من هذه المعاني السامية التي تغذو الأرواح والقلوب. من الحق أن الحضارة الأوروبية مادية المظاهر. وقد نجحت من هذه الناحية نجاحًا باهرًا، فوُفِّقَت إلى العلم الحديث، ثم إلى الفنون التطبيقية الحديثة، ثم إلى هذه المخترعات التي غيرت وجه الأرض وحياة الإنسان. ولكن من أجهل الجهل وأخطأ الخطأ أن يقال إن هذه الحضارة المادية قد صدرت عن المادة الخالصة. إنها نتيجة العقل، إنها نتيجة الخيال، إنها نتيجة الروح الخصب المنتج، نتيجة الروح الحي الذي يتصل بالعقل فيغذيه وينميه ويدفعه إلى التفكير ثم إلى الإنتاج ثم إلى استغلال الإنتاج، لا نتيجة هذا الروح العاكف على نفسه الفارغ لها، الفاني فيها، الذي تفسد الأثرة عليه أمره فلا ينفع ولا ينتفع ولا يفيد ولا يستفيد".[2]

قام هنا طه حسين بنوع من أنواع التفنيد -وهو الإضراب؛ حيث وافق على ما قالوه مع تحويل اتجاه النتيجة، فهو وافق على الجزء الأول من الدعوى ودلل عليه بالإنجازات التي قدمتها الحضارة الأوروبية، ولكنه اعترض على الجزء الثاني من الدعوى، باستخدام الرابط الاستدراكي "لكن" في قوله: "ل**كن من أجهل الجهل وأخطأ الخطأ أن يقال إن هذه الحضارة المادية قد صدرت عن المادة الخالصة"**، ثم كرر كلمة "نتيجة" خمس مرات لتعديد مصادر هذه الحضارة وأسباب نجاحها، وأخيرًا عقد مقارنة بين من يربط الروح بالعقل فينتجان ما يخدم البشرية، ومن يسيطر عليه حب نفسه فلا تكون له فائدة أو قيمة، قائلًا: **"نتيجة الروح الحي الذي يتصل بالعقل فيغذيه وينميه ويدفعه إلى التفكير ثم إلى الإنتاج ثم إلى استغلال الإنتاج، لا نتيجة هذا الروح العاكف على نفسه الفارغ لها، الفاني فيها، الذي تفسد الأثرة عليه أمره فلا ينفع ولا ينتفع ولا يفيد ولا يستفيد".**

القضية الثانية: التعليم الديني:

تناول طه حسين هذه القضية بشكل منفصل على مدار المقالات بخلاف القضية السابقة، فلم يُفرِد لها مقالات متتالية، ويمكن إرجاع هذا الأمر إلى تشعبها وحساسيتها بالنسبة له لأنه طالب أزهري في الأساس.

([1]) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص53.
([2]) المصدر السابق، ص56-57.

تعرض طه حسين لهذه القضية لأنه كان يرى أن الدولة هي المسؤولة عن تكوين العقلية المصرية؛ لذلك طالب بأن تُوكَل شؤون التعليم كلها إلى الدولة وحدها، وأن تصنع المناهج والبرامج لهذا التعليم، وأن تقوم على تنفيذها وملاحظتها.

كما دعا إلى ضرورة عدم المساس بجوهر التعليم الديني في الأزهر، فمصر هي ملجأ لتعليم الدين الإسلامي؛ لذلك أراد أن يصور التعليم الأزهري تصويرًا يلائم هذه الحاجة الوطنية إلى تكوين الوحدة المصرية من جهة، وإلى تثبيت الديمقراطية وحماية الاستقلال من جهة أخرى.

- **النموذج الأول:** تقسم البنية الحجاجية في هذا النموذج إلى حقيقة، وتعريف، وأخيرًا نتيجة لما سبق ذكره:

حقيقة يبدأ بها: "الدولة وحدها هي التي تستطيع أن تضع المناهج والبرامج لهذا التعليم وأن تقوم على تنفيذ هذه المناهج والبرامج، وأن تلاحظ ذلك ملاحظة متصلة دقيقة، حتى لا ينحرف التعليم عن الطريق الذي رُسمت له، وحتى لا ينتهي إلى غرض مباين للغرض الذي أُنشئ من أجله".[1]

وتعريف التعليم الديني: "هناك تعليم آخر تشرف عليه الدولة ولا تشرف عليه. تشرف عليه لأنه خاضع آخر الأمر لسلطانها، ولا تشرف عليه لأنه مستقل في حقيقة الأمر استقلالًا عظيمًا، وهو التعليم الديني الذي يقوم عليه الأزهر الشريف وما يتصل به من المعاهد المنبثة في الأقاليم... هذا التعليم رسمي تشرف عليه الدولة لأنها تنفق عليه من الخزانة، ومن أوقاف المسلمين؛ ولأنها تنظمه بما تصدر من اللوائح والقوانين. ولكنه كان إلى عهد قريب منحازًا عن الحياة العامة، قد انصرف إلى نفسه، وانصرفت الدولة عنه، ومضى في طريقه، لا يكاد يخضع لمراقبة ولا ملاحظة. وكانت صفته الدينية وما زالت، تحميه إلى حد بعيد من تدخل السلطان المدني". [2]

بدأ طه حسين حديثه عن التعليم الأزهري بحقيقة يعلمها الجميع، وهي أن الدولة مسئولة عن وضع المناهج التعليمية ومتابعة تنفيذها، وقد صاغ هذه الحقيقة في صورة جملة اسمية خبرية لإفادة الثبوت والاستقرار، معللًا ذلك بالرابط السببي "حتى" عند قوله: **"حتى لا ينحرف التعليم عن الطريق الذي رسمت له، وحتى لا ينتهي إلى غرض مباين للغرض الذي أنشئ من أجله".**

وضع بعد ذلك تعريفًا للتعليم الأزهري، وهو تعريف يتضمن العديد من التفاصيل الموجهة والممهدة لهجومه المتدرج على الأزهر، وهو تعريف بالمفهوم يوضحه عبد السلام عشير قائلًا: "يتم عن طريق تقديم الخصائص المميزة للشيء بشكل تجريدي... ويتجه نحو اختيار مركز مستوعب لكل التفاصيل، بحيث يؤثر على المستمع، ويوقعه بشكل موضعي أو زائف في شراك الموضوع الذي يطرحه المتكلم مثل: هذه "السلع أجنبية" ولكون التعريف بالمصادق يتوخى التفصيل والتدقيق حتى يحيط بالموضوع ويبرز كل الخصائص الدالة على الشيء والمؤثرة في الغير، دون أن يكون التطويل غاية في ذاته، بل لغايات حجاجية تستدعيها ضرورات تأثيرية حجاجية"[3].

فقد فسر من خلال هذا التعريف العلاقة بين الدولة والتعليم الأزهري، فهي تشرف عليه ظاهريًا وماديًا، ولكنها لا تتدخل في المناهج أو طريقة التدريس، وهذا ما يريد طه حسين تغييره.

(1) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص60.
(2) المصدر السابق، ص61-63.
(3) عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، ص142- 143.

ولكي يوضح الصورة كاملة قام بالتفصيل بعد إجمال، وبدأ في تعريف التعليم الأزهري بتحديد علاقته مع الدولة، ثم برر هذا التعريف بالرابط السببي "لأن" في قوله: **"تشرف عليه لأنه خاضع آخر الأمر لسلطانها، ولا تشرف عليه لأنه مستقل في حقيقة الأمر استقلالًا عظيمًا".**

واستخدم الرابط الاستدراكي "لكن" لبيان تغير مسار التعليم الأزهري وابتعاده عن الحياة العامة، فلم يعد عليه مراقبة ولا سلطة من الدولة.

ثم يعرض رأيه في التعليم الديني -لكن بشكل غير مباشر- من خلال مقارنته بالأنواع الأخرى للتعليم قائلًا: **"لكن المسألة الخليقة بالتفكير هي هذه: إذا كان التعليم الديني جزءًا أساسيًا من مناهج التعليم المصري العام، فهل يصح ألا يكون هذا التعليم جزءًا أساسيًا من مناهج التعليم في المدارس الأجنبية التي تقوم في مصر وتنشر تعليمها بين المصريين؟ ذلك أننا إذا علمنا الدين في المدارس المصرية، وجعلناه ركنًا من أركان مناهج التعليم، (نتيجة) فنحن من غير شك نعتمد على أن الدين مقوم خطير من مقومات الوطنية المصرية. وإذن فيجب أن يشترك المصريون جميعًا في هذا الجزء الأساسي من أجزاء التعليم".**[1]

بدأ طه حسين مقارنته بجملة شرطية جوابها جملة استفهامية، وهذا التشابك يحقق الغرض الحجاجي الإقناعي بكفاءة تفوق كفاءة كل منهما مستقلًا[2]، وهي مقدمة حجاجية يحاول بها إثارة فكرة ألا يكون الدين هو المنطلق أو الهدف للمناهج الدراسية، وإلا فلا بد من تعميمه على المدارس في مصر كافة. ويدعم مقدمته بعد ذلك باستخدام أسلوب الشرط الذي تكون فيه جملة الشرط مقدمة للقياس وجملة جواب الشرط نتيجة له، أداته "إذا". ويذكر المرادي معنى أداة الشرط "إذا" قائلًا: "اسم ظرف لما يستقبل من الزمان متضمنة معنى الشرط؛ ولذلك تجاب بما تجاب به أدوات الشرط، نحو: إذا جاءني زيد فقم إليه، وكثر مجيء الماضي بعدها مرادًا في الاستقبال. وهي لما تيقن وجوده أو رجح بخلاف "إن" فإنها للمشكوك فيه، وقد تدخل على المتيقن وجوده إذا أُبهِم زمانه"[3]. وكانت نتيجة هذه المقدمة أن الدين ركن رئيس في الهوية المصرية التي على أساسها نحدد مناهج التعليم. ثم جاءت النتيجة التي يريد أن يصل إليها بعد المقدمات والحجج السابقة، وهي ألا يكون الدين حكرًا على تعليم معين دون غيره.

- **النموذج الثاني:** تنقسم البنية الحجاجية في هذا النموذج إلى حقيقة ونتيجة:

حقيقة: "أنا بعيد كل البعد عن أن أدعو إلى المساس بجوهر التعليم الديني في الأزهر وما يتصل به من المعاهد المنبثة في الأقاليم. فقد قدمت أن الدين مقوم من مقومات الشخصية الوطنية. وأنا مؤمن بهذا فيما بيني وبين نفسي أشد الإيمان. وقد كانت مصر ملجأً للتعليم الديني الإسلامي حين انحسر ظله عن كثير من الأقطار الإسلامية. وكانت مصر معقلًا للإسلام حين عجز عن حمايته كثير من بلاد المسلمين...

هذا شيء لا أشك فيه، ولا أحب أن يُظَنَّ بي الشك فيه. ولكني أريد أن يُصَوَّرَ التعليم الأزهري تصويرًا يلائم هذه الحاجة الوطنية التي قدمت تفصيلها: إلى تكوين الوحدة المصرية من جهة، وإلى تثبيت الديمقراطية وحماية الاستقلال من جهة أخرى".[4]

نتيجة: "ومعنى ذلك أن هناك مقدارًا من مناهج التعليم العام وبرامجه يجب أن يكون مشتركًا بين المصريين، ويجب أن تشرف الدولة بالملاحظة والتفتيش والامتحان على أن المصريين جميعًا مشتركون

([1]) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص67.

([2])إيمان السعيد جلال: الوسائل اللغوية للتأثير والإقناع في مقالات إحسان عبد القدوس حول قضية الأسلحة الفاسدة، ص61.

([3]) المرادي: الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: د.فخر الدين قباوة ود. محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1992، صـ367.

([4]) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص70.

فيه، شركة عادلة، سواء تعلموا في المدارس الرسمية، أم في المدارس المصرية الحرة، أم في المدارس الأجنبية أم في الأزهر ومعاهده.

وما دام الأزهر حريصًا على أن يقوم بالتعليم الأَوَّلي الأزهري، والتعليم الثانوي الأزهري، فلا بد إذن من أن يتحقق الإشراف الدقيق للدولة على هذا التعليم الأولي والثانوي الأزهري؛ لتثبت الدولة أن المصريين جميعًا ينشأون على معرفة وطنهم وحبه، والاستعداد للتضحية في سبيله، والإتقان للغته وتاريخه وتقويمه ودينه. فإذا أخذ الأزهر في تخصيص أبنائه في العلوم الدينية بعد فراغهم من تعليمهم الثانوي، فله أن يذهب في ذلك ما شاء من المذاهب الحرة، في حدود حاجته الدينية والعلمية وفي حدود القانون العام".[1]

وضح طه حسين هنا حقيقة موقفه، ثم عرض بعض الآراء التي طرحها بوصفها اقتراحات، كما أنه يحاول التراجع خطوة عن هذا الهجوم على الأزهر، فأراد توضيح موقفه وهدفه الأساسي من الحديث عن التعليم الأزهري، وصاغ ذلك في صورة جمل اسمية تبدأ بضمير المتكلم "أنا" لإفادة الثبوت والاستقرار، وقد استدل على ريادة مصر للتعليم الديني في الأقطار العربية كافة.

وقد أحال إلى ما سبق باسم الإشارة "هذا"، ثم استدرك بالرابط الاستدراكي "لكن" موضحًا هدفه الأساسي وهو خوفه على الوحدة الوطنية للمصريين، مفسرًا قوله السابق بادئًا بعبارة "معنى ذلك"، معقبًا بعد ذلك بأنه ينبغي -تحقيقًا للوحدة المصرية- أن تشرف الدولة على مناهجه، خاصة التعليم الأساسي والثانوي، معللًا ذلك بالرابط السببي "لـ" في قوله "**لتثبت الدولة أن المصريين جميعًا ينشأون على معرفة وطنهم وحبه، والاستعداد للتضحية في سبيله والإتقان للغته وتاريخه وتقويمه ودينه".**

ولم يترك الأمر دون تدعيم، فوضع حجتين يثبت بهما صحة رأيه هما:

- "أن الأزهر بحكم تاريخه وتقاليده وواجباته الدينية بيئة محافظة تمثل العهد القديم والتفكير القديم أكثر مما تمثل العهد الحديث والتفكير الحديث.
- أن هذا التفكير الأزهري القديم قد يجعل من العسير على الجيل الأزهري الحاضر إساغة الوطنية والقومية بمعناهما الأوربي الحديث".[2]

عَبَّرَ التضاد بين "القديم والحديث" عما يريد طه حسين الوصول إليه من التفرقة بين الدارسين في الأزهر والدارسين في غيره من المدارس على اختلافها.

نتيجته: "أن الدولة هي المسؤول الأول، والمسؤول الأخير، والمسؤول قبل الأفراد والجماعات، وبعد الأفراد والجماعات، عن تكوين العقلية المصرية تكوينًا يلائم الحاجة الوطنية الجديدة التي صورناها تصويرًا نظن أنه دقيق كل الدقة، ملائم كل الملاءمة، حين قلنا إنها تنحصر في تثبيت الديموقراطية".[3]

استخدم كلمة "الأول والأخير" و"قبل وبعد" لإفادة العموم والشمول وحصر أنواع التعليم جميعها، كما أفاد المفعول المطلق "تكوينًا، تصويرًا"، والنائب عن المفعول المطلق "كل الدقة، كل الملاءمة" لتأكيد فكرة أن الدولة المصرية هي بمفردها قادرة على تحديد الأصلح من المناهج لتثبيت الديمقراطية.

القضية الثالثة: قضية الامتحان:

(1) المصدر السابق، ص71.
(2) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ، ص73-74.
(3) طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص75.

تناول طه حسين هذه القضية في خضم حديثه عن كيفية إصلاح التعليم والارتقاء به، وكان يرى أن الامتحان بشكله المعهود يعد مضيعة للوقت والجهد؛ لأنه لا يقيس مدى استيعاب الطالب للمقررات الدراسية، ولا مدى استفادته مما درسه في العام الدراسي.

- **النموذج الأول:** تنقسم البنية الحجاجية في هذا النموذج إلى تمهيد، وتعريف، ومثال يدعم به حديثه، وأخيرًا نتيجة.

تمهيد: "هناك مشكلة عسيرة إلى أبعد حدود العسر، سخيفة إلى أقصى غايات السخف، يتأثر بها تعليمنا كله على اختلاف أنواعه وألوانه أشد التأثر، فيفسد بها أعظم الفساد. وهي لا تفسد التعليم وحده ولكنها تفسد معه الأخلاق، وتكاد تجعل بعض المصريين لبعض عدوًا. وهي لا تفسد التعليم والأخلاق فحسب ولكنها تفسد السياسة أيضًا وتكاد تجعل التعليم خطرًا على النظام الاجتماعي نفسه. وأظنك قد عرفت هذه المشكلة، ولم تحتج إلى أن أسميها لك فهي مشكلة الامتحان".[1]

تعريف الامتحان: "الأصل في الامتحان أنه وسيلة لا غاية، وأنه مقياس تعتمد عليه الدولة لتجيز للشباب أن ينتقل من طور إلى طور من أطوار التعليم، وهو مستعد لهذا الانتقال استعدادًا صحيحًا أو مقاربًا، هذا هو الأصل. ولكن أخلاقنا التعليمية جرت على ما يناقض هذا أشد المناقضة، ففهمنا الامتحان على أنه غاية لا وسيلة، وأجرينا أمور التعليم كلها على هذا الفهم الخاطئ السخيف، وأذعنا ذلك في الصبية والشباب، وفي نفوس الأسر، حتى أصبح ذلك جزءا من عقليتنا، وأصلًا من أصول تصورنا للأشياء وحكمنا عليها".[2]

مثال (تدعيم): "الصبي منذ يدخل المدرسة موجه إلى الامتحان أكثر مما هو موجه إلى العلم، مهيأ للامتحان أكثر مما هو مهيأ للحياة؛ وإذن فليس المهم عند الصبي أن ينتفع بالدرس، وأن يجد فيه اللذة والمتعة، وأن يستزيد منهما وإنما المهم أن يستعد للامتحان وللنجاح فيه ليتفوق على أترابه أو ليحتفظ بمكانته بينهم، وليرضي أبويه ويسرهما ويحقق ما يعقدان به من أمل، وينوطان من رجاء، وليظفر بما يمنيانه من مكافأة وجزاء... وما رأيك في الصبي الذي ينشأ على اعتبار الوسائل غايات والغايات وسائل، فيفهم الأشياء فهمًا مقلوبًا، ويحكم عليها حكمًا معكوسًا؟! أتظنه يستطيع أن يفهم أموره الدراسية هذا الفهم المقلوب ويحكم عليها هذا الحكم المعكوس ثم يفهم أمور الحياة فهمًا صحيحًا ويحكم عليها حكمًا مستقيمًا؟! كلا لأن الله لم يجعل لرجل قلبين في جوفه ولا عقلين في رأسه. وإنما جعل له قلبًا واحدًا وعقلًا واحدًا. فإذا أفسدت المدرسة هذا العقل وذلك القلب فقد أفسدت التلميذ كله، وقضت عليه بأن يفكر تفكيرًا معوجًا وأن يشعر شعورًا مختلطًا وأن يسير في الحياة سيرة ملائمة لهذا الاختلاط وذلك الاعوجاج".[3]

يعمد طه حسين في كثير من الأحيان إلى تشويق القارئ للقضية أو الموضوع الذي سيتحدث عنه، بوصفه نوعًا من التمهيد، وإعطاء رأي مسبق لهذه القضية قبل الخوض في تفاصيلها؛ فقد بدأ بوصف المشكلة التي سيتحدث عنها بألفاظ انفعالية "عسيرة، سخيفة، تفسد، خطر"، وتسهم الألفاظ الانفعالية التي تعبر عن العواطف والانفعالات في تقوية الحجاج العاطفي (الباثوس) Pathos الذي يعرفه د. حاتم عبيد بأنه: "تلك العواطف التي إذا عرف الخطيب كيف يحركها في جمهوره ويوجهها الوجهة التي تخدم قضيته استطاع أن يؤثر في أحكامهم وما يحملونه حول تلك القضية من وجهات نظر، ويوجّه من ثم رد فعلهم. لذلك كانت معرفة الخطيب بالانفعالات

(1) المصدر السابق، ص153.
(2)طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص154.
(3) طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، ج1، ص155.

وطرائق استغلالها ووجوه تحريكها مما ييسر له فعل الإقناع ويعينه على عطف القلوب النافرة وعلى قذف اليقين في النفوس الشاكة".[1]

فهو يحاول كسب تعاطف القراء وتأييدهم كما يحاول إقناعهم بوجهة نظره، بخاصة أنه وصل بها إلى أقصى درجة من الخطورة في قوله:" **ولكنها تفسد السياسة أيضًا وتكاد تجعل التعليم خطرًا على النظام الاجتماعي نفسه**". وختم تمهيده باسم المشكلة، وهي "الامتحان".

ثم انتقل إلى تعريف الامتحان تعريفًا وصفيًا يذكر وظيفته الأساسية، ثم استدرك بالرابط "لكن" للإشارة إلى أن ما يحدث في الواقع يخالف هذا التعريف النموذجي؛ فعندما عرف الامتحان قال إنه "وسيلة لا غاية"، وعندما تحدث عن الواقع قال إن الامتحان "غاية لا وسيلة"، وكانت نتيجة ذلك الأمر: "**حتى أصبح ذلك جزءًا من عقليتنا، وأصلًا من أصول تصورنا للأشياء وحكمنا عليها**". جاء الرابط "حتى" لإفادة الغاية كما يذكر الهروي (ت 415 هـ) المعاني النحوية لحتى قائلًا: "حتى حرف جار على جهة الغاية، وحرف عطف، وبمعنى كي، وحرف من حروف الابتداء يستأنف ما بعدها"[2]

ثم ضرب مثالًا على ذلك لتدعيم رأيه بصبي يدخل إلى المدرسة وهدفه الأوحد أن ينجح في الامتحان، وبالطبع هذا ينعكس على علاقته بزملائه وعلى علاقته بالمواد التي لها أثر كبير في نمو عقله وجسده لكن لا يوجد لها امتحان. واستخدم طه حسين أكثر من رابط حجاجي لإقناع القارئ برأيه؛ فاستخدم الرابط "إذن" للإشارة إلى النتيجة الحتمية للاهتمام بالامتحان أكثر من الانتفاع بالدرس، والرابط "إنما" لقصر اهتمام الطالب على النجاح في الامتحان فقط، ثم استخدم الرابط السببي "اللام" لتبرير ما سبق في قوله: "**ليتفوق على أترابه، ليرضي أبويه، ليظفر بما يمنيانه**".

بدأ بعد ذلك في طرح الأسئلة على القارئ وهي استفهامات تعجبية، وهي: "**وما رأيك في الصبي الذي ينشأ على اعتبار الوسائل غايات والغايات وسائل، فيفهم الأشياء فهمًا مقلوبًا، ويحكم عليها حكمًا معكوسًا؟! أتظنه يستطيع أن يفهم أموره الدراسية هذا الفهم المقلوب ويحكم عليها هذا الحكم المعكوس ثم يفهم أمور الحياة فهمًا صحيحًا ويحكم عليها حكمًا مستقيمًا؟! "**، واستعان فيها بالتوازي لجذب انتباه المتلقي، كما أتى بالمفعول المطلق للتأكيد وتثبيت الفكرة. أجاب عن هذه الاستفهامات بالأداة "كلا" للردع والزجر، مبررًا رفضه لإمكانية فهم الطالب للأمور الدراسية بشكل صحيح، قائلًا: "لأن الله لم يجعل لرجل قلبين في جوفه ولا عقلين في رأسه"، وهي تتناص مع الآية القرآنية: {مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ}[3]، للإشارة إلى استحالة أن يجمع الطفل بين تركيز اهتمامه على الامتحان والإفادة من المواد الدراسية في وقت واحد. ثم ختم حديثه بأسلوب شرط يضع فيه نتيجة ما سبق، وهو أن المدرسة عندما تجعل اهتمام الطالب منصبًا على الامتحان فقط، فهي بذلك تفسد تفكيره؛ مما يؤثر فيه مستقبلًا، فتصبح حياته معوجة مثل تفكيره.

❖ خاتمة البحث:

[1] حاتم عبيد: الباطوس من الخطابة إلى تحليل الخطاب، مجلة فصول، العدد 70، 2007، صـ38.

[2] الهروي: الأزهية في علم الحروف، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، الطبعة الثانية، 1993، صـ214- 215 بتصرف.

[3] سورة الأحزاب، الآية 4.

قدمت الدراسة تحليلًا لبعض النصوص التي تضمنها كتاب "مستقبل الثقافة في مصر"، وحاولت أن تكشف عن وسائل الإقناع التي اتبعها الدكتور طه حسين في مناقشة القضايا المختلف عليها، التي حاول أن يحاجج بها المختلفين معه في الرأي.

وقد توصلت الدراسة بعد تحليل عدد من النماذج إلى أن طه حسين اختار القضايا التي تخدم هدفه العام من هذه المقالات، مثل: تحسين التعليم الأساسي، والامتحان، والتعليم الجامعي.

وقد تبينت الدراسة أن:

- في مجموعة النصوص التي اختارتها الدراسة برز الشكل الحجاجي المتمثل في: مقدمة – تدعيم – نتيجة، بوصفه النموذج الأكثر استخدامًا، وقد تنوعت المقدمات ما بين وقائع، وحقائق، ونتائج توصل إليها في النماذج السابقة، ثم يدعمها بالحجج. ومن طرقه في تقديم الحجج ذكر الآراء المعارضة لرأيه والرد عليها.
- استخدم طه حسين الحجاج التقويمي أكثر من الحجاج التوجيهي؛ لأنه في أغلب الأحيان يحاول تقويم وتغيير ما هو سائد في المجتمع ليتوافق مع الحياة الأوروبية التي يراها الحياة المثلى للاتباع.
- يعرض طه حسين حججه بشكل تدريجي؛ حتى تكون كل حجة مترتبة على سابقتها.
- تبدأ النتائج إما بقوله "معنى ذلك عندي"، وإما بالرابط الاستنتاجي "إذن".

- **وفيما يتصل بالحجاج المنطقي:**

- تنوعت وسائل التدعيم ما بين أمثلة، وهي الأكثر ورودًا -سواءً أكانت تاريخية أم مرتبطة بالعصر الحاضر، ثم النموذج، وحجة السلطة، والتمثيل، وهي من الحجج الاستقرائية التي تعد دليلًا قويًا على مصداقية الكاتب.
- استخدم المقارنة بوصفها وسيلة من وسائل الإقناع لإبراز أهمية ما يدافع عنه، وإظهار القصور في ما يخالفها.
- يلجأ أحيانًا إلى التعريف بالقضية التي سيتحدث عنها ليتمكن من الحكم عليها، وإقناع القارئ بصحة هذا الحكم.

- **أما الحجاج اللغوي فقد تبينت فيه الدراسة ما يأتي:**

- تنوع أسلوب طه حسين ما بين الخبري والإنشائي؛ فقد استخدم الجمل الخبرية الاسمية كثيرًا لإفادة الثبوت والاستقرار، ولإرساء قاعدة عامة يبني عليها حججه بعد ذلك.
- استخدم الجمل الاستفهامية استخدامًا كبيرًا، وقد تنوعت ما بين الحقيقية والمجازية، ولكن غلب المجازي منها على الحقيقي بغرض التعجب والاستنكار لإشراك القارئ معه في عملية الاستدلال.
- يميل طه حسين إلى الأسلوب التثبيتي؛ لذلك فإن من أكثر الوسائل اللغوية التي استخدمها أسلوب القصر بـ"إنما، ما-إلا" للتخصيص والتأكيد.
- يعمد طه حسين كثيرًا إلى التكرار لتأكيد الفكرة وتثبيتها في ذهن القارئ، ومن أنواع التكرار الأكثر ورودًا تكرير مفاتيح الجمل لتعدد وتأكيد الفكرة، يليها تكرار الألفاظ مثل: الوحدة – العقل.
- من وسائل الإقناع اللغوية التي استخدمها طه حسين السلاسل اللفظية لوصف ما يتحدث عنه، والتوازي لما تحدثه من جرس موسيقي يجذب انتباه المتكلم، أيضًا التضاد لإفادة العموم والشمول.
- من أكثر الروابط الحجاجية استخدامًا الرابط الاستدراكي "لكن"، ثم الرابط السببي "لأن – اللام"، وأخيرًا الرابط الغائي "حتى".

❖ **قائمة بالمصدر والمراجع:**

أولًا: المصدر:

حسين، طه. (1993)، مستقبل الثقافة في مصر، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، جزأين.

ثانيًا: المراجع:

ابن الأثير (ضياء الدين نصر الله بن محمد)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (ط 1). د.ت، القاهرة: دار نهضة مصر.

البحيري، أسامة. (2000)، تحولات البنية في البلاغة العربية (ط1)، دار الحضارة.

الجندي، أنور (1983)، المعارك الأدبية (ط1)، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.

جونستون، باربرا. (2013)، التوازي في العربية التعديل قالبًا للإقناع، ضمن كتاب: بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، ترجمة: د. محمد العبد، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

حسان، تمام. (1993)، البيان في روائع القرآن (ط1)، القاهرة: عالم الكتب، القاهرة، ج2.

الريفي (هشام). الحجاج عند أرسطو، أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية (د.ط)، تونس: كلية الآداب منوبة.

زكريا، فؤاد. (1992)، مقال عن كتاب مستقبل الثقافة في مصر منشور في كتاب أهم مائة كتاب في مائة عام (موسوعة عصر التنوير)، القاهرة: دار الهلال، ج1.

الشهري، عبد الله. (2004)، إستراتيجيات الخطاب (ط1)، بيروت: دار الكتاب الجديد.

صحراوي، مسعود. (2008)، التداولية عند العلماء العرب (ط1)، الجزائر: دار التنوير.

صولة، عبد الله. الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال" مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتيكاه، من كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم (د.ط)، تونس: جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية تونس كلية الآداب بمنوبة.

صولة، عبد الله. (2011)، في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات (ط1)، تونس: مكسيلياني للنشر.

طروس، محمد. (2005)، النظرية الحجاجية، الدار البيضاء: دار الثقافة.

العبد، محمد. (2005)، النص والخطاب والاتصال (ط1)، القاهرة: الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي.

عشير، عبد السلام. (2006)، عندما نتواصل نغير، المغرب: أفريقيا الشرق.

فون راد – صكوحي، كورنيليا. (2003)، الحجاج في المقام المدرسي، تونس: كلية الآداب بمنوبة.

قطب، سيد. (1969)، نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر (ط1)، الدار السعودية للنشر والتوزيع.

المرادي (أبو محمد الحسن بن قاسم بن عبد الله)، الجنى الداني في حروف المعاني. (1992)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ود. محمد نديم فاضل (ط1)، بيروت: دار الكتب العلمية.
ابن منظور (محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل). لسان العرب (ط2)، بيروت: دار صادر.
الهروي (علي بن محمد النحوي). (1993)، الأزهية في علم الحروف (ط2)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.
ابن هشام الأنصاري (أبو محمد عبد الله جمال الدين). (1964)، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (ط1)، تحقيق: د.مازن المبارك، دمشق: دار الفكر.

ثالثًا: الدراسات:

السعيد (إيمان). (1999)، تطور لغة الخطاب السياسي في مقالات فتحي رضوان، المجلس الأعلى للثقافة.
السعيد (إيمان). (2008)، الوسائل اللغوية للتأثير والإقناع في مقالات إحسان عبد القدوس حول قضية الأسلحة الفاسدة، صحيفة الألسن، العدد 24، يناير.
عبيد (حاتم). (2007)، الباطوس من الخطابة إلى تحليل الخطاب، مجلة فصول، العدد 70.

المراجع العربية مترجمة للانجليزية:

List of source and references:

First: Source:

Hussein, Taha. (1993), The Future of Culture in Egypt, Egypt: Egyptian General Book Authority, two parts.

Second: References:

Al-Abd, Muhammad. (2005), Text, Discourse and Communication (1st ed.), Cairo: Modern Academy for University Books.

Ashir, Abdul Salam. (2006), When We Connect, We Change, Morocco: Africa East.

Ibn al-Atheer (Dia al-Din Nasrallah bin Muhammad), the prevailing example in the literature of the writer and poet (1st edition). D.T., Cairo: Dar Nahdet Misr.

Al-Buhairi, Osama. (2000), Transformations of Structure in Arabic Rhetoric (1st edition), Dar Al Hadara.

El Gendy, Anwar (1983), Literary Battles (1st ed.), Egypt: Anglo-Egyptian Library.

Al-Harawi (Ali bin Muhammad Al-Nahwi). (1993), Al-Azhiyya fi Ilm al-Haruf (2nd ed.), edited by: Abdul Mu'in al-Mallouhi, Damascus: Publications of the Arabic Language Academy.

Hassan, Tammam. (1993), Al-Bayan fi Rawa'i' al-Qur'an (1st edition), Cairo: Alam al-Kutub, Cairo, vol. 2.

Ibn Hisham Al-Ansari (Abu Muhammad Abdullah Jamal Al-Din). (1964), Mughni al-Labib from the Books of Arabs (1st edition), edited by: Dr. Mazen al-Mubarak, Damascus: Dar al-Fikr.

Johnston, Barbara. (2013), Parallelism in Arabic, modification as a template for persuasion, in the book: Research in the Analysis of Persuasive Discourse, Translated by: Dr. Muhammad Al-Abd, Cairo: Modern Academy for University Books.

Ibn Manzur (Muhammad bin Makram bin Ali Abu Al-Fadl). Lisan al-Arab (2nd edition), Beirut: Dar Sader.

Al-Muradi (Abu Muhammad Al-Hassan bin Qasim bin Abdullah), the proximal genie in the letters of meanings. (1992), investigation: Dr. Fakhr al-Din Qabawa and Dr. Muhammad Nadeem Fadel (1st edition), Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.

Qutb, Sayed. (1969), Criticism of the book The Future of Culture in Egypt (1st edition), Saudi Publishing and Distribution House.

Al-Rifi (Hisham). Pilgrims according to Aristotle, the most important theories of pilgrims in Western traditions from Aristotle to today, University of Letters, Arts and Human Sciences (Dr. I), Tunisia: Faculty of Arts, Manouba.

Sahrawi, Masoud. (2008), Pragmatics among Arab Scholars (1st edition), Algeria: Dar Al-Tanweer.

Al Shehri, Abdullah. (2004), Discourse Strategies (1st edition), Beirut: New Book House.

Sawla, Abdullah. Pilgrims: Its frameworks, starting points, and techniques through "A Workbook on Pilgrims - The New Rhetoric" by Perelman and Titicah,

from the book The Most Important Theories of Pilgrims in Western Traditions from Aristotle to Today (ed. I), Tunisia: University of Letters, Arts and Human Sciences, Tunis, Faculty of Arts, Manouba.

Sawla, Abdullah. (2011), in Al-Hajjaj Theory, Studies and Applications (1st ed.), Tunisia: Maksiliani Publishing.

Tarrous, Muhammad. (2005), Pilgrimage Theory, Casablanca: House of Culture.

Von Rad-Sakouhi, Cornelia. (2003), Pilgrims in the School Maqam, Tunisia: Faculty of Arts in Manouba.

Zakaria, Fouad. (1992), an article about the book The Future of Culture in Egypt, published in the book The Hundred Most Important Books in a Hundred Years (Encyclopedia of the Age of Enlightenment), Cairo: Dar Al-Hilal, Part 1.

Third: Studies:

Al-Saeed (Iman). (1999), The Development of the Language of Political Discourse in Fathi Radwan's Articles, Supreme Council of Culture.

Al-Saeed (Iman). (2008), Linguistic Means of Influence and Persuasion in Ihsan Abdel Quddus' Articles on the Issue of Bad Weapons, Al-Alsun Newspaper, Issue 24, January.

Obaid (Hatem). (2007), Al-Batus from Rhetoric to Discourse Analysis, Fusoul Magazine, Issue 70.